الفصل الثاني

الاستقرار اليهودي في الأندلس

المبحث الأول: تنظيم الاستقرار اليهودي في الأندلس.

المبحث الثاني: مراكز الاستقرار اليهودي وسط الأندلس.

المبحث الثالث: مراكز الاستقرار اليهودي جنوبي الأندلس.

المبحث الرابع: مراكز الاستقرار اليهودي غربي الأندلس.

المبحث الخامس: مراكز الاستقرار اليهودي شمالي الأندلس.

المبحث الأول

تنظيم الاستقرار اليهودي في الأندلس

كان اليهودُ زمن الفتح الإسلامي للأندلس ينتشرون في معظم أنحاء شبه الجزيرة الأيبيرية[1]. ويتركَّزون في المدن الرئيسة، ولكن بعيدا ً عن قصباتها، وعندما فتح المسلمون الأندلس أجروا تغييرا ً على التوزيع السابق لليهود، فضموهم إلى قصبات المدن. يُفهم ذلك من خلال الروايات التي أوردها مؤلف مجهول، حيث يقول عن فتح المسلمين لإلبيرة: "فحصروا مدينتها، فافتتحت، فألفوا بها يومئذ يهودا ً، وكانوا إذ ألفوا اليهود ببلدةٍ ضموهم إلى مدينة البلد، وتركوا معهم من المسلمين طائفة، ومضى عظم الناس ففعلوا ذلك بغرناطة، مدينة إلبيرة، ولم يفعلوا ذلك بمالقة، مدينة ريّة، لأنهم لم يجدوا بها يهودا ً ولا عمارة، وإنّما كانوا لاذوا بها وقت حاجتهم"[2]. ويقول في معرض حديثه عن فتح قرطبة بقيادةِ مغيث الرومي: "وجمع يهود قرطبة فضمهم إليها"[3]. وفي معرض حديثه عن فتح إشبيلية بقيادة موسى بن نصير يقول: "فأتاها موسى بن نصير، حتى حصرها أشهرا ً، ثمّ إن الله فتحها، وهرب العلوج إلى مدينة باجة، فضم موسى يهودها"[4].

ويقول المقري عن فتح إشبيلية: "فامتنعت أشهراً على موسى، ثم فتحها الله عليه، فهرب العلوج عنها إلى مدينة باجة، فضم موسى يهودها إلى القصبة، وخلف بها رجالا ً "[5].

كما يفهم أيضاً من رواية ابن عذاري عن فتح مدينة طليطلة حيث يقول: "وألفى طارق طليطلة خالية، ليس فيها إلا اليهود في قوم قلّة، وفرّ علجها مع أصحابه، ولحق بمدينة خلف الجبل. وتبعهم طارق، بعد أن ضم اليهود[6]. ومن رواية لسان الدين بن الخطيب التي يقول فيها: "ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى إلبيرة فحاصروا مدينتها، وفتحوها عنوة، وألفوا بها يهودا ً ضموهم إلى قصبة غرناطة، وصار لهم ذلك سنةً متبعةً متى وجدوا بمدينة يهودا ً ضموهم إلى قصبتها، ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدونها"[7].

وكان هدف المسلمين من ضم اليهود إلى قصبات المدن هو الإفادة منهم في أعمالِ الحراسة [8].

والظاهر أن إقامة يهود الأندلس قبل الفتح الإسلامي خارج أسوار المدن المهمة لم يكن باختيارهم، وإنما أجبرهم عليها القوط، إذ لا يعقل أن يختاره اليهود بأنفسهم، وقد عرف أنهم يميلون إلى حماية أنفسهم بالحصون والأسوار.

---

(1) BROYED, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPDIA, VOL.11, P.484; ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPIDA JUDAICA, VOL.15, P.1268; BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.825; BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198; LINDO, THE JEWS, P.6.

(2) مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1401هـ1981م)، ص21-22.

(3) م. ن. ص23.

(4) أخبار مجموعة، ص 23.

(5) المقري، أحمد بن محمد، فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، م1، (بيروت، دار صادر، 1408هـ-1988م)، ص 269.

(6) البيان المغرب، جـ2، ص12.

(7) الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ق1، تحقيق: محمد عبد الله عنان، (القاهرة، الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1393هـ-1973م)، ص101.

(8) ينظر: م.ن.، م1، ص101.

وتدل العديد من الإشارات التاريخية على وجود أحياءٍ يهودية في كثير من المدن الأندلسية، وأنها استمرت طوال مدة الحكم الإسلامي للأندلس[1].

وأرى أن المسلمين هم الذين منحوا اليهود أجزاء من المدن الأندلسية، وسمحوا لهم بإقامة أحياء خاصة بهم فيها، إذ لا يعقل أن يترك أمر مهم كهذا لليهود فيتخيرون ما شاءوا من مواقع لإقامة أحيائهم، دون إذن من السلطة الإسلامية.

كما أرى أن تنظيم مواطن الاستقرار اليهودي في الأندلس قد تم في عصر الولاة (95-138هـ=714-755م)، الذي يعد العصر الذي وضعت فيه أسس الاستقرار والتنظيم في الأندلس. ومما يدل على ذلك أن أبا الخطار الحسام بن ضرار الكلبي عندما جاء والياً على الأندلس سنة (125هـ=742م)، "لم يقدم في ولايته الأندلس شيئا ً على تفريق جميع العرب الشاميين الغالبين على البلد عن دار الإمارة قرطبة، إذ كانت لا تحملهم، وأنزلهم مع العرب البلديين على شبه منازلهم في كور شامهم، وتوسَّع لهم في البلاد"[2].

ولولا أنَّ اليهود قد حصلوا على حيٍّ لهم في قرطبة قبل قدوم أبي الخطار، وهو الوقت الذي كانت فيه المدينة مزدحمة لا تتسع حتى لمزيد من المسلمين، لما حصل اليهود على حيهم الذي صرحت بوجوده الإشارات التاريخية اللاحقة لذلك العصر. إذ لا يمكن أن تُقدِّم السلطة لليهود جزءا ً من المدينة لإقامة حيهم عليه، بعد سنة (125هـ=742م) في الوقت الذي لا تستطيع فيه استقبال المسلمين.

وهناك إشارات أخرى تدلُّ على وجود مبكّر للحيّ اليهودي في قرطبة منها رواية ابن حّيان التي يقول فيها: "توفي عبد الرحمن بن عثمان بن عفان القشيري في ذي الحجة من سنة (95هـ=713م)، ودُفِنَ بمقبرة حلال، بينها وبين مقبرة اليهود الطريق السالك بجوفي قرطبة"[3]، ورواية الخشني التي يقول فيها: "كان سعيد بن سليمان القاضي يحكم في المسجد الجامع، ويأتي إليه ماشيا ً، وأنه كان يوما ً من الأيام مقبلا ً ضحىً، فلما أتى باب اليهود التقى بسعيد بن حسان الفقيه ... ولبث سعيد بن سليمان قاضيا ً إلى أنْ مات الأمير عبد الرحمن بن الحكم ... سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين"[4].

ويقدمّ ابن حَّيان رواية تعودُ إلى سنة (361هـ=971م)، تبينُ مسؤولية السلطة الإسلامية عن تنظيم الاستقرار في المدن الأندلسية وتذكر باب اليهود في قرطبة، حيث يقول: "ركب الخليفة الحكم إلى دار الطراز، اعتناءً بمطالعتها، فدخلها وقد استقبله قوّامها من الوكلاء والقوام بالأعمال فيها، فقضوا حَّقهُ وساءلهم، عن أشياء من أعمالهم، وأنعم توصيتهم، وكانت طريقه إليهم على مقبرةِ باب اليهود المنسوبة إلى أم سلمة، فأجال بصره فيها وتأمَّل ما بها من ضيقة لتكاثر الدفن فيها، فعهد بابتياعِ دور جمة منها، حَدَّها كيما تهدم وتزاد فيها، فعمل بذلك[5].

---

[1] سنشير إلى تلك الإشارات لاحقا ً عندما نفصل الحديث عن الاستقرار في تلك المدن.

[2] ابن الأبار، محمد بن الله القضاعي، الحلة السيراء، جـ1، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة، ط، 1963) ص61.

[3] ابن بشكول، خلف بن عبد الملك الخزرجي الأنصاري، الصلة، جـ2، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت دار الكتاب اللبناني، ط1، 1410هـ-1989م)، ص462.

[4] الخشني، محمد بن الحارث، قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الابياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، ط1، 1402هـ –1982 م)، ص140.

[5] ابن حيان القرطبي، أبو مروان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، (بيروت، دار الثقافة، ط1، 1965 م)، ص 92.

إن وجود باب يحمل اسم "باب اليهود" في قرطبة، وفي مدن أندلسية أخرى كسرقسطة"[1]، يدل في رأيي دلالةً قاطعة على وجود حي لليهود في تلك المدن، لأنه جرت العادة في المدن الإسلامية، أن يطلق على أبواب المدن أسماء المواقع التي تؤدي إليها تلك الأبواب[2]، أو أسماء من يقيمون بالقرب منها. ومما يدل على ذلك قول العذري في معرض حديثه عن أبواب قرطبة: "ومنها باب عامر... وكان قد نزل قريباً منه عامر بن عمرو...، فنسب بهذا النسب إليه ... ومن أبواب المدينة أيضاً: باب عبد الجبار، وعبد الجبار هذا الذي ينسب إليه ... كان نزل بقرب هذا الباب"[3].

وعلى سبيل المثال ما يزال أحد أبواب مدينة القدس يحمل إلى الآن اسم "باب المغاربة"، لأنه قريب من الموقع الذي يسكن فيه المغاربة في مدينة القدس.

ولا يمكن أن يطلق مسلمو الأندلس اسم اليهود على أحد أبواب مدنهم، لأي سبب غير أن ذلك الباب يؤدي إلى حيهم، أو أنهم يقيمون بالقرب منه، لأن المسلمين ينفرون من اليهود، ولا يمكن أن يطلقوا اسمهم على أبواب مدنهم حباً فيهم، أو إكراماً لهم. إذ أنهم عندما لاحظوا أن اسم اليهود صار يتردد على ألسنة الناس، وهم يذكرون باب اليهود في قرطبة، كرهوا ذلك، وقرروا أن يغيروا اسم الباب إلى"باب الهدى"[4].

وما يؤكد أيضا ً وجود حي لليهود في قرطبة رواية ابن عذاري لحادثة وقعت في قرطبة سنة (529هـ=1134م)، يقول فيها: "وثارت العامة أيضاً بقرطبة في هذه السنة، في رجب على اليهود ـ لعنهم الله- بسبب قتل وجد بين أظهرهم، ففتحت منازلهم، وانتهبت أموالهم، وقتل نفر منهم"[5].

وأرى في ورود كلمتي "أظهرهم" و"منازلهم" في الرواية دليلا ً على أنهم كانوا يعيشون في حيّ خاص بهم.

وقد سمح المسلمون لليهود في أليسانة أن يسكنوا منعزلين تماماً عن المسلمين حيث يقول الإدريسي: "واليهود يسكنون بجوف المدينة، ولا يداخلهم فيها مسلم البتة... ولليهود بها حذر وتحصن ممن قصدهم"[6].

وأجد في الروايات الإسلامية التي تصف ما حل بيهود غرناطة أثناء ثورة المسلمين على يهودها دليلاً على أن معظم اليهود كانوا يسكنون فيها في حي خاص بهم. إذ يقول ابن عذاري: "وقتل في هذا اليوم من اليهود جملة عظيمة، ونهبت دورهم"[7]، ويقول أيضاً: "وفي هذه السنة كان القيام على يهود غرناطة، وقتل منهم نحو ثلاثة آلاف"[8]، ويقول الشنتريني: "وقد استطال الناس على يهود، وقتل منهم يومئذ نيف على أربعة آلاف[9]. ولولا أن معظم اليهود كانوا يتجمعون في مكان واحد لما تمكن الثائرون الغاضبون من الإمساك بآلاف منهم، هم أغلبية اليهود، وقتلهم في يوم واحد.

---

(1) ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف، تاريخ علماء الأندلس، ق1، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م)، ص127، ترجمة رقم: 391.
(2) العذري، ترصيع الأخبار، ص18، 122، 165؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص143.
(3) العذري، ترصيع الأخبار، 122.
(4) المقري، نفح الطيب، م1، ص156.
(5) البيان المغرب، جـ3، ص266.
(6) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي، المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م2، (بيروت عالم الكتب، ط1، 1409هـ-1989م)، ص571-572.
(7) البيان المغرب، جـ3، 266.
(8) م. ن.، جـ3، ص231.
(9) الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، م2، (بيروت، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1399هـ-1979م)، ص769.

ولو أنهم كانوا منتشرين بين المسلمين، وفي جميع أنحاء غرناطة، لتمكن كثير منهم من الفرار، أو الاختباء، ولما وصل الغاضبون إلى دورهم بهذه السرعة، ولكان عدد القتلى أقل بكثير من العدد الذي تحدثت عنه الروايات الإسلامية.

وبالرَّغم من أنّ الأمثلة السابقة قد جاء معظمها من مدينة قرطبة، إلاّ أنها تعبر عن الوضع في المدن الأندلسية الأخرى التي تواجد فيها اليهود، إذ أنَّ جميع تلك المدن كانت تابعة للحكم في قرطبة، وتُطَبَّقُ فيها جميعا ً السياسة نفسها.

ومن الواضح أنَّ المسلمين لم يمنعوا اليهودَ من السكن خارج الحي اليهودي، إذ توجد إشارات عدة إلى يهود جاوروا المسلمين في مساكنهم، وأنهم امتلكوا دورا ً وأراضي بين دور المسلمين وأراضيهم.

ومن هذه الإشارات قول القاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل مجيبا ً على نازلةٍ وُجّهت إليه سنة (464هـ=1071م): "شورى في بيتٍ متهدّم بين دار حسَّان ودار شنوغة اليهود(*)، خاطبنا بها صاحب السوق أبو طالب محمد بن مكي ... قام عندي حسان بن عبد الله فذكر أنَّ له داراً بداخل مدينة قرطبة بحومة مسجد صواب، تلاصق دارا ً أخرى موقوفة على شنوغة اليهود، وأنه كان في داره بيتٌ صغيرٌ تهدَّم، وتهدَّم بتهدُّمه الجدار الذي كان حاجزاً بينه وبين دار الشنوغة، وأغفل بنيانه، فلما ذهب إلى إقامته اعترضه إسحاق اليهودي، وقال: إنَّ البيت المتهدِّم من حقوق دار الشنوغة، وأظهر إلى حسَّان عقد استرعاء، تاريخه رجب سنة أربعٍ وستين..."[1].

وذكر الونشريسي نازلة حول "رجل بجواره يهودي، قد ربى معهم، فربما جاءوه في حاجة، أو عرضت له إليهم حاجة، وربما مشى في طريق ملاصقةٍ لهم فيجري بينهم حديث أو ابتسام وكلام لين، وهذا الرجل يقول: الله عالم ببغضي لليهود، ولكن طبعي ليّن، أتراه من هذا في حرج أم لا ؟ وما يردُّ عليه إذا سلَّموا عليه، أفتنا رحمك الله"[2].

ولمَّح الجرسيقي إلى مجاورة أهل الذمَّة للمسلمين في بيوتِهم، عندما أفتى بأن "يمنع أهل الذمة من الإشراف على المسلمين في منازلهم والتكشيف عليهم"[3].

ويبدو أنَّ مجاورة اليهود للمسلمين في السكن كانت ظاهرة عامة في جميع بلدان المسلمين. إذ يقول جوايتاين: "فكما نعرف الآن من وثائق الجنيزة التي جاءت من الفسطاط ومن القاهرة والإسكندرية والمحلّة، ومن أماكن أخرى في

*****

( ) شنوغة اليهود: بيت عبادتهم، وهذا اللفظ منقول عن اللاتينية SINAGOGA، وهو بدوره مأخوذ من الإغريقية، ومعناه أصلا ً مكان الاجتماع، وقد خصص المعنى بعد ذلك بمكان اجتماع اليهود للعبادة، وقد انتقل اللفظ بعد ذلك إلى كل اللغات اللاتينية الأصل (بالأسبانية SINAGOGA، وبالفرنسية SYNAGOGUE). ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى، الأحكام الكبرى، استخرجها وحققها ونشرها: محمد عبد الوهاب خلاف، (القاهرة، المركز العربي للدول والإعلام، 1410هـ–1980م)، ص60–61، نشرت قطعة منها تحت عنوان: "وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل".

(1) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص60-61.

(2) الونشريسي، أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا، والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من العلماء بإشراف: محمد حجي، جـ11، (بيروت، دار المغرب الإسلامي، 1981م)، ص300-301.

(3) الجرسيقي، عمر بن عثمان بن عباس، رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسيقي في الحسبة، نشرت ضمن كتاب "ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب"، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م)، ص122، 151.

مصر والتـي جاءت من القيروان وبيت المقدس ودمشق وحلب، فإنَّ بيوت اليهود كانت متاخمة لبيوت المسلمين وبيوت المسيحيين، فلم يكن هناك جيتو، ولكن على العكس من ذلك كانت هناك فرص كثيرة للاختلاط اليومي"[1].

وبالرغم من أنَّ السلطة الإسلامية لم تجبر اليهود في الأندلس على الاستقرار في الأحياء اليهودية، إلا أنَّ معظمهم كانوا يفضلون ذلك. لأنَّ الإنسان بطبعه يميل إلى الاستقرار بين قومه وأهل مِلّته وليس اليهود وحدهم هم الذين حُدِّدَت لهم أحياء خاصة بهم، بل تلك هي عادة المسلمين عند تنظيم الاستقرار في مدنهم، إذ تعطى كل قبيلةٍ أو عشيرةٍ جزءاً من المدينة فيصبح مستقرّاً خاصاً بها، وقد يحمل اسمها[2]، لكن أفراد هذا الجزء أو ذاك لا يُمنعون من الاستقرار أينما شاءوا من الأندلس. وقد اتَّبعَ أبو الخطار هذه السياسة عندما نظم مواطن استقرار العرب الشاميين الغالبين على الأندلس، حيث حرص أن ينزل أبناء الجندِ الواحدِ معاً في منطقةٍ واحدة [3] "وأنزلهم مع العربِ البلديين على شبه منازلهم في كُوَر شامهم"[4].

وأجد في سماح السلطة الإسلامية في الأندلس لليهود بالاستقرار في أحياء أو تجمعات خاصة بهم، تسامحاً من هذه السلطة، إذ ساوت في ذلك بينهم وبين أبناء القبائل العربية الذين دخلوا الأندلس.

والجدير بالذكر أن إسكان اليهود في أحياء خاصة بهم يختلف اختلافاً كلياً عن "الجيتو" الذي أجبر اليهود على السكن فيه في أوربا في العصور الوسطى. لأن تصرف المسلمين لم يكن من منطلق عنصري كما هو الحال في تنظيم الدول النصرانية للجيتو، بدليل أنه قد سمح لليهود بالإقامة خارج أحيائهم، وبين دور المسلمين، وإلى جوارهم. هذا بالإضافة إلى أن تنظيم الاستقرار لدى المسلمين كان يقوم على أساس قبلي، كما أنه كان يحقق المصلحة لليهود، ولم يحدث أي اعتراض عليه من قبل اليهود طوال مدة وجودهم في الأندلس . وقد اطلعت على العديد من الدراسات اليهودية الحديثة عن يهود الأندلس، فلم أجد اعتراضاً من أحد على طريقة المسلمين في تنظيم إسكان اليهود، ولم يتهموا المسلمين بالعنصرية، مثلما اتهموا النصارى الذين أجبروا يهود أوربا على السكن داخل الجيتو، وعدم الإقامة خارجه.

وقد تمكَّن اليهود بسبب إقامتهم في أحياء خاصة من حماية مجتمعهم اليهودي من الانصهار التام داخل المجتمع الإسلامي في الأندلس، الذي أثر فيهم تأثيراً كبيراً، لكنَّهم ظلوا محافظين على طقوسهم وشعائرهم وكثيرٍ من عاداتهم وتقاليدهم[5].

---

[1] جوايتاين س.د، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق: عطية القوصي، (الكويت، وكالة المطبوعات، ط1، 1980)، ص151.

[2] عن توزيع كل قبيلة في دربٍ خاص بها ينظر: الدوري، عبد العزيز، "المؤسسات الحكومية" المدينة الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد تلعب، أشرف على النشر: ر.ب سرجنت، (اليونسكو، السيكومور فجر، 1983م)، ص53.

[3] ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ1، ص61-63.

[4] م. ن، جـ1، ص61.

[5] ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.64.

وتتحدَّث المصادر اليهودية عن أحياء اليهود داخل المدن الأندلسية، وتبيِّن أنَّ كثيراً من منازلها التي يسكنها اليهود تعود ملكيتها إلى مسلمين أو نصارى، وأنَّهم قد استأجروها منهم استئجارا ً[1]. وإذا صحَّ ذلك فإنَّه يعني أنَّ السلطة الإسلامية عندما قامت بتحديد مواقع للأحياء اليهودية في المدن الأندلسية، لم تكن هذه الأماكن خالية من البناء والسكان، وأنه ليس اليهود هم أول من أسس هذه الأحياء، بل كانت مواقع تحتوي على العديد من البيوت. إذ يستبعد أنْ يُقبِلَ المسلمون والنصارى على تشييد منازل لهم في تلك الأحياء بعد أن خصصت لليهود.

وأعتقد أنَّ سبب ملكية المسلمين والنصارى للعديد من البيوت داخل الأحياء اليهودية هو أن النصارى يملكون هذه البيوت قبل الفتح الإسلامي، وقد بقيت ملكاً لمن لم يهرب منهم، ورضي بالعيش تحت حكم المسلمين. أما المسلمون فقد حصلوا عليها غنيمة بعد أن فرَّ عنها أصحابها. والظاهر أن المسلمين والنصارى الذين لا يرغبون بالعيش بين اليهود قد فضَّلوا أن يؤجِّروا بيوتهم لهم، وينتقلوا للعيش في أماكن أخرى، أو في الأماكن المخصصة لهم، وربما قام بعضهم ببيع تلك البيوت لليهود.

كما تبيِّن المصادر اليهودية أن الحي اليهودي كان يطلق عليه في بعض المدن الأندلسية اسم "الجماعة"، وهو اختصار لـ"جماعة اليهود"، أو يُسمى "القاهال"، وهو المعنى العبري لكلمة "الجماعة"[2].

وكانت بعض المدن الأندلسية تضمُّ نسبة عالية من السكان اليهود، وقد أطلق بعض المؤرخين المسلمين على هذا النوع من المدن اسم "مدينة اليهود"[3]، للتعبير عن كثرتهم فيها.

وعندما يكون عدد اليهود في المدينة كبيراً فإنَّ حيَّهم فيها على الأغلب يكون كبيراً، وهو يحتوي في هذه الحالة على حارات صغيرة تُسمّى "الدروب". أمَّا الأحياء الصغيرة فهي عبارة عن مجاميع من المنازل المحيطة بزقاق مسدود الطرف في العادة، وكانت نهايته المفتوحة تغلق بباب يقفل في المساء حفاظاً على أمن السكان.

وبما أنَّ ما يفصل الأحياء عن بعضها من كل الجهات كان الأسوار الخارجية لمنازلهم، فإنَّ أمن السكان اعتمد كليا ً على المراقبة المتيقظة للباب. وكان السكان في الواقع يستأجرون الحراس الذين تصحبهم الكلاب والمصابيح، وكانوا يمرون في دوريات طوال الليل، وقد أطلق على الحارس اسم "الدرَّاب". وفي أوقات الاضطرابات والفتن الداخلية كان من السهل الدفاع عن الأحياء المغلقة، إذ لم يكن هناك حاجة إلا للقليل من الأشخاص للدفاع عن باب الدرب، حتى وإن زاد عدد المهاجمين على عدد المدافعين[4].

وقد أحبَّ اليهود وكذلك النصارى طريقة المسلمين في الحفاظ على أسرار بيوتهم، والحرص على ألاَّ يطلع الغرباء على ما يجري بداخلها، وقد تبنوا هذه الطريقة داخل أحيائهم، وصار أمرا ً مستنكرا ً أن يفتح الجار شباكاً أو بابا ً يؤدي إلى كشفِ بيت جاره. وقد حدثت مشاكل كثيرة بين اليهود داخل أحيائهم على قضايا من هذا النوع. وكان

---

(1) IBID, VOL.3, P.59.
نقلاً عن: RESPONSA ALFASI, NO, 171.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.61.

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص734، ابن سعيد، أبي الحسن علي بن موسى، اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى، اختصار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (دار الكتب الإسلامية، ودور أخرى، ط2، 1400هـ- 1989م)، ص149.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.62.

أحد الأسئلة الموجهة من يهود غرناطة إلى أحد كبار أحبار أليسانة يحمل تقريرا ً عن أشخاص طلبوا بعد موت والدهم من أرباب البيوت في أحد الدروب السماح لهم بالمرور عبر حيِّهم. وتقدَّموا بهذا الطلب على أساسٍ أن سكان الدرب لم يبيعوا حقَّ المرور في الشارع لوالدهم المتوفى. وبالطبع فإنهم وجدوا أنه من الملائم الحصول على حكم بحق المرور في هذا الطريق الأقصر، ليوفروا على أنفسهم عناء الدوران لمرات عِدَّة خلال النهار حول الحي الذي يقطع عليهم الطريق إلى أقرب شارع. ولكن الحبر الذي أرسلت إليه المشكلة عارض ذلك(1).

وقد حافظ اليهود على ذلك حتى عندما أصبحوا تحت الحكم الأسباني، فقد ورد سؤال إلى أحد أحبار أرجون حول بيتٍ يقع في زقاق مغلق له شباك واحد يفتح على الزقاق، وكان هناك رجلٌ اسمه "سيمون" يعيش في الزقاق؛ وقد فتح شباك مقابل الشباك المذكور سابقاً، وقد طلب يعقوب من سيمون إغلاق شباكه لأنه يطلُّ على بيته ويكشفه، لكنَّ سيمون كان يرفض ذلك. وقد أفتى الحبر الأرجوني بضرورة إغلاق شباك سيمون(2).

وكانت النزاعات أحياناً تثار لأن أحد أرباب البيوت يستخدم منزله لغيرِ أغراض السكن، مما يزيد من عدد الداخلين والخارجين من الزقاق. فيحتج السكان عليه، ويرفعون مشكلتهم إلى أحبارهم ليفتوا بمنع ذلك(3).

وفي ما يأتي بيان لأهم مراكز الاستقرار اليهودي في الأندلس.

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.63.
(2) IBID, VOL.3, P.64.
(3) IBID, VOL.3, P. 64.

المبحث الثاني

مراكز الاستقرار اليهودي وسط الأندلس

تركز اليهود وسط الأندلس في مدينتين كبيرتين، هما قرطبة، وطليطلة. وفي ما يأتي بيان عن استقرار اليهود في هاتين المدينتين.

أولاً: قرطبة (CORDOBA)

يقول الحميري في وصفها: "قاعدة الأندلس، وأمُّ مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين بها"[1]. وقد افتتحها المسلمون سنة (92هـ-711م)[2]، وخسروها سنة (633هـ-1236م)[3].

يقع الحي اليهودي في قرطبة في الجهة الجنوبية الغربية منها، قريباً من قصر الخلفاء والجامع الكبير[4].

وهناك إشارة للخشني يمكن أن تدلَّ على قربه من الجامع الكبير حيث يقول: "كان سعيد بن سليمان القاضي يحكم في المسجد الجامع (بقرطبة)، ويأتي إليه ماشياً، وأنَّه كان يوماً من الأيام مقبلاً ضحى، فلما أتى باب اليهود التقى بسعيد بن حسان الفقيه[5]. وما يزال الجزء الجنوبي الغربي من قرطبة يُعرف إلى الآن بالحي اليهودي، ومن الممكن مشاهدة بعض آثاره[6]، وهي تدلُّ على أنَّ البيوت القديمة التي سكنها اليهود خلال حكم المسلمين لقرطبة، قد هُدمت، وأنَّ البيوت الموجودة فيه الآن، قد شُيِّدت جميعها بعد القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. ولكنْ على الرغم من إنشاء بيوت جديدة إلا أنَّ شبكة الشوارع قد ظلَّت على حالها، ولذلك فإن كلَّ الشوارع التي في ذلك الحيّ ما تزالُ ضيقة[7]، وما يزالُ بعضها يحملُ أسماء تؤكدُ على أنَّ هذه المنطقة كانت بالفعل حياً يهودياً.

وأجد من الضروري ذكر الأسماء الحالية لشوارع ومعالم الأحياء اليهودية لأن هذه الشوارع أقيمت في أماكن الشوارع القديمة لتلك الأحياء –كما أسلفنا-، والتعريف بها وبأماكن وجودها يمكّن المهتمين من تكوين صورة تقريبية عن تلك الأحياء في العهد الإسلامي، كما أنه يُسهّل لهم الوصول إلى تلك الأحياء للتعرف عليها[*].

فهناك شارع الحي اليهودي (CALLE JUDERIA)، الذي تشيرُ الخارطةُ الرسمية لقرطبة سنة (1226هـ-1811م) إلى وجود باب الحيّ اليهودي فيه[8]. وهناك ساحة الحي اليهودي (PLAZA DE LAS JUDERIA)،

---

(1) الحميري، الروض المعطار، ص456.

(2) المقري، نفح الطيب، م1، ص261.

(3) ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، جـ1، (القاهرة، 1956)، ص120، 323.

(4) كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص46–47؛
HAIM BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.964;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.296.
ينظر: الخارطة رقم: (1) التي نقلت بتصرف عن: الكواتي، اليهود في المغرب الإسلامي، ص260.

(5) الخشني، قضاة قرطبة، ص140.

(6) كحيلة، تاريخ النصارى، ص46؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.295.

(7) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1 P.295.

(*) ينظر: الخارطة رقم: (2)، التي نقلت هي وأمثالها من خرائط البحث التي تبين المعالم والحدود الحالية للأحياء اليهودية في المدن الأندلسية عن: ASHTOR, THE JEWS OF MOSLEM SPAIN. والتي نقلها بدوره عن الخرائط الأسبانية الرسمية القديمة للمدن الأندلسية، ومن خلال زياراته لمواقع الأحياء اليهودية في تلك المدن.

(8) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.295, 438.

وهي التسمية السابقة لساحة دي لاس بولاس (PLAZA DE LAS BULAS)، التي كانت في ما يبدو سوق الحي اليهودي. ومن هذه الساحة ينعطف شمالاً شارع أطلق عليه اسم العالم اليهودي الشهير موسى بن ميمون (CALLE MAIMONIDES)، وكان في السابق يُدعى شارع اليهود (JUDIOS CALLE DE LOS) [1]. وكان هذا هو الشارع الرئيس في الحيّ، وهو شارع يبلغ طوله 160 مترا ً، لكنّه ضيق جدا ً، حيث يبلغ عرضه مترين أو ثلاثة أمتار. وإلى شمال الساحة، وعلى جهة الغرب يقع الكنيس اليهودي القديم الذي بناه إسحاق بن أفرايم سنة (715هـ=1315م)، ربَّما في موقع الكنيس الموجود منذ العهد الإسلامي[2].

ويمكن تعيين حدود الحي اليهودي في قرطبة بشارع (ROMERO)، وامتداده الذاهب إلى الجزء الشمالي الغربي، والمعروف اليوم بشارع المنصور، وقد عُثِرَ في هذا الشارع على بقايا سور قوي، رَّبما كان السور الداخلي للحي اليهودي الذي يفصله عن بقيةِ أجزاء المدينة. وكان الحي يصل في إحدى جوانبه إلى الزاوية الشمالية الغربية من الجامع الكبير، ويصل من جانبه الآخر إلى باب المدوَّر[3].

والملاحظ أنَّ مساحة هذا الحيّ كانت صغيرة، وهي أقل بكثير من مساحة الأحياء اليهودية في المدن الكبيرة الأخرى في الأندلس. وقد تناسبت هذه المساحة القليلة مع عدد اليهود في قرطبة في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، والذي كان قليلاً حسب قولِ أحد أحبار يهود العراق في معرض إجابته عن سؤالٍ ورد إليه من يهود قرطبة[4].

ونتيجة للازدهار الحضاري والعمراني والعلمي في قرطبة في أوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ولا سيما في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، تدفق إليها المهاجرون من مختلف الأجناس والأديان، وكان اليهودُ من بين أولئك المهاجرين[5].

ولأن الحي اليهودي كان مزدحماً باليهود، ولا يمكن أن يستوعب القادمين الجدد، فقد سمح لهم بإقامة حيٍّ آخر في شمال المدينة[6]. وهناك إشارات مختلفة إلى ذلك الحيّ.

حيث يقول الإدريسي في وصفه لقرطبة التي شاهدها في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي: "وطولها من غربيها إلى شرقيّها ثلاثة أميال، وكذلك عرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود بشمالها ميل واحد"[7]، ووجود باب لليهود في شمال المدينة يدلُّ على حيٍّ لليهود هناك.

---

(1) IBID, VOL.1, P.295-296; BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.296.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.296; BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.964.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.296; BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.664.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.294.

(5) ASHTOR, SPAIN, ENCYCLOPIDA JUDAICA, VOL.5, P.664.

(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.298; BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPIDA JUDAICA, VOL.5, P.665.

(7) الإدريس، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م2، ص575.

ويقول المقري: "ذكر ابن بشكوال أنَّ عدد أرباض قرطبة عند انتهائها في التوسيع والعمارة واحد وعشرون ربضا ً منها...، وأمّا الشمالية فثلاثة: ربض باب اليهود، وربض مسجد أم سلمة، وربض الرصافة" [1]. وتحدَّث الحميري عن مساحة مدينة قرطبة بعد التوسيع فقال: "وعرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود ميل واحد"[2]. وبيَّن كلٌّ من العذري[3]، والمقري[4]، أنَّ مسلمي الأندلس قد استقبحوا أن يُسَمُّوا باب السور الشمالي لقرطبة بباب اليهود، فأطلقوا عليه باب الهدى. وقد عرف هذا البابُ أيضاً بباب ليون نسبة إلى شخصية يهودية بهذا الاسم[5]، أو لأنَّ المتوجِّه إلى ليون في شمال الأندلس يمرُّ منه[6].

والرأي الثاني هو الأصوب، لأنَّ الأبواب في الغالب تسمى بأسماء الأماكن المؤدية إليها. ولو أنه سُمي بالفعل على اسم شخصية يهودية، لكانت هذه الشخصية مشهورة، وعرفتنا بها المصادر الإسلامية أو اليهودية، لكننا لم نجد له فيها تعريفا ً.

كما عُرِفَ باب اليهود في الحي الشمالي بباب طلبيرة، للسبب نفسه، إذ أنه يؤدي أيضا ً إلى الطريق المتجه إلى طلبيرة[7]، وسّماه النصارى باب أوساريو نسبة إلى مقبرةٍ كان يؤدي إليها تسمى مقبرة أم سلمة، ثمَّ تحوَّلت بعد سقوطِ قرطبة في أيدي القشتاليين إلى مقبرة لليهود[8].

وظلت هذه البوابة قائمة حتى سنة (1321هـ=1904م)[9]، وموقعها في نهاية الشارع الذي ظلَّ يحملُ اسمها، وهو شارع (DEL OSARIO)[10].

وقد أشارت المصادر الإسلامية إلى يهودٍ أقاموا في قرطبة طوال مدة الحكم الإسلامي لبني أمية في الأندلس، ومن تلك الإشارات قيام الفقيه طالوت عند خوفه من الحكم الأول (180-206هـ=796–822م) بالاختفاء في بيت يهودي في قرطبة لمدة سنة[11]. وقيامه بإرسال المغني منصور اليهودي رسولاً إلى زرياب كي يدعوه للقدوم إلى الأندلس[12]. وما أورده الونشريسي عن إحدى قضايا القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[13]، المتعلقة باختلاف يهودي ويهودية في قرطبة على التقاضي عند المسلمين أو اليهود[14].

---

(1) المقري، نفح الطيب، م1، ص465-466.
(2) الحميري، الروض المعطار، ص456.
(3) العذري، ص122.
(4) المقري، نفح الطيب، م1، ص 156.
(5) سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، جـ1، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1984م)، ص226.
(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.298.
(7) IBID, VOL.1, P.298.
(8) سالم، قرطبة، جـ1، ص174.
(9) BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPIDA JUDAICA, VOL.5, P. 946; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.298.
(10) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.298.
(11) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، (بيروت، دار النشر للجماعيين، 1975)، ص75-77.
(12) المقري، نفح الطيب، م3، ص 124-125.
(13) خلاف، محمد عبد الوهاب تاريخ القضاء في الأندلس، (القاهرة، ط1، 1413هـ، 1992م)، ص191.
(14) الونشريسي، المعيار، جـ 10، ص128-130.

أمَّا بالنسبةِ لمقبرة اليهود في قرطبة، فقد كانت بُعَيْدَ الفتح الإسلامي للأندلس داخل المدينة، حيث ذكر ابن حيان أنَّ "عبد الرحمن بن عثمان بن عفان القشيري توفي في ذي الحجة من سنة 95هـ، ودفن بمقبرة حلال، بينها وبين مقبرة اليهود، الطريق السالك بجوفي قرطبة"[1]. ثمَّ تم نقلها إلى خارج أسوار المدينة بالقرب من الباب القريب للحي اليهودي الواقع في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة، وعندما أصبحت المقبرة اليهودية مزدحمة جداً، قام اليهود بشراءِ قطعةِ أرضٍ شمال المدينة، وأقاموا مقبرة أخرى خارج باب ليون، بالقرب من الحي اليهودي الجديد، وهي قريبة من مقبرة أم سلمة الإسلامية، وتقع إلى الشمال منها[2]. وقد أطلق اليهود على مقبرتهم الجديدة اسم "بقوت راشة"[3]. وسبب ازدحام المقبرة القديمة، حركة التوسع العمراني في قرطبة، حيث تمَّ بناء العديد من أحياء المسلمين في المنطقة الواقعة غرب سور المدينة[4].

لقد أصبحت طائفة اليهود في قرطبة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي هي الأكبر والأكثر أهمية في عموم الأندلس من حيث السكان والمستوى الاجتماعي والثقافي. وأصبح كثير من يهود قرطبة أثرياء بسبب عمل كثيرٍ منهم بالصناعة والتجارة[5].

وكان ضمن هذه الطائفة الكبيرة عددٌ من العائلات المحترمة التي لعبت دورا ً بالغ الأهمية في حياة الطائفة. وإحدى هذه العائلات هي عائلة فَلْيَج (FALYADJ)، التي كانت متنفذة للغاية، وكانت إحدى فتيات هذه العائلة قد تزوجت من حنوخ ابن كبير أحبار قرطبة، وتزوجت ابنته من أحد رجال عائلة فَلْيَج[6].

وكان أحد الوجهاء اليهود في قرطبة في القرن العاشر يُدعى فرجون، وكان هو وابن أخيه من الأثرياء، وقد قاموا بتغطية احتياجات الطائفة[7].

ومن بين العائلات الشهيرة أيضا ً، عائلة ابن قبرون الثرية، وكان أحدُ أفرادها الشاعر إسحاق بن قبرون، الذي تتلمذ على أيدي مناحيم بن ساروق، وعاصر حسداي بن شبروط، وكان أحد المقرَّبين منه[8].

وقد تركز العديد من المفكرين اليهود الأندلسيين في قرطبة، لأنها كانت المركز الثقافي الأكبر في الأندلس، ولأنه كان بوسعهم الإفادة من رعاية أثريائها اليهود[9].

---

(1) ابن بشكوال، الصلة، جـ2، ص264.
(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.117.
(3) سالم، قرطبة، جـ 1، ص174-226.
(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.117.
(5) الموسوعة العبرية، م26، ص381-383؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.299
(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.299.
(7) IBID, VOL.1, P.299.
(8) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص30.
(9) م.ن، ص21-22؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.299.

ومن بين هؤلاء المفكرين أبو عمر يقوى، وهاكوهين بن المدَرَّم، وكانا يكتبان الشعر، ومهتمان بعلم اللغة العبرية، وكذلك أبو زكريا بن حنيجا الذي عاش في نهاية القرن العاشر الميلادي، وعليّ بن مارحسن الذي عاش في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، وكتب ثلاثة أبحاث عن التقويم اليهودي[1].

هجر معظم اليهود قرطبة بعد انقضاء عهد الخلافة[2]، وتوجه عدد من المهاجرين إلى الإمارات الجنوبية في الأندلس، التي تزعمها حكام من غير العرب، حيث قام هؤلاء الحكام بتقريب اليهود والاعتماد عليهم في وظائف الدولة، وذلك اعتقادا ً منهم بأنَّ اليهود لا يطمعون في منافستهم على الحكم كالمسلمين أو النصارى.

وقد استغلَّ اليهود الذين حصلوا على المناصب الكبرى والوظائف الحكوميَّة مواقعهم لإثارةِ مزيد من الفرقة والشقاق بين الدويلات الأندلسية المتنافسة، مثلما فعل صاموئيل بن جوزيف (إسماعيل بن نغدِله) الذي هاجر من قرطبة إلى المرية، ثم إلى غرناطة، وتسلَّم فيها منصبا ً كبيرا ً[3]. ومثل ما فعلته عائلة الشاعر اليهودي الشهير سليمان بن جابيرول التي هاجرت إلى مالقة[4].

وقد ساعد على هجرة اليهود من قرطبة أيضا ً الفتنة التي حدثت نتيجة للتنافس على الحكم، وأثرت على الأوضاع الاقتصادية والأمنية لليهود القرطبيين، فتوقف كثير من التجار الأثرياء عن تجارتهم، وتعطل معظم الحرفيين الذين كانوا يشتغلون في صناعة الحرير عن عملهم، وانتشرت بينهم البطالة والفقر، فخرج هؤلاء لممارسة نشاطاتهم وأعمالهم في مدن أصبحت أكثر أمنا ً وازدهارا ً من قرطبة. ولحقهم المثقفون الذين هاجر بعضهم إلى الإمارات الجنوبية طمعا ً في الوظائف الحكومية كما بيَّنا، أو إلى الإمارات النصرانية الأسبانية في الشمال، التي رحَّبت بهم للإفادة من علومهم[5] التي تلقوها على أيدي أساتذتهم المسلمين.

ومن الإشارات الدالة على الفقر الذي أصاب يهود قرطبة، القصيدة التي تحدث فيها الحبر القرطبي إسحاق بن غايات عن موسى بن القرطبي، الذي طلب المساعدة بسبب فقره، حيث لم يكن يملك حتى الملابس الجيدة، وكان هذا الرجل هو ابن أحد اليهود الذين هربوا من قرطبة مثلما فعل الكثيرون مثله[6].

وما يؤكد خراب قرطبة وتدهور أوضاعها قول ياقوت الحموي: "وخربت قرطبة وصارت كإحدى المدن المتوسطة، وقد رثوها فأكثروا فيها"[7]. وقول الحميري: "وبعد ذلك طحنتها النوائب، واعتورتها المصائب، وتوالت عليها الشدائد والأحداث، فلم يبق من أهلها إلا البشر اليسير"[8].

---

[1] IBID, VOL.1, P.299.

[2] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص67؛
HAIM BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.215.

[3] ينظر: الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص766-767، ق2، م2، ص562؛ ابن سعيد الأندلسي، عبد الملك، المغرب في حلى المغرب، جـ2، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة، دار المعارف، 1964م)، ص114، ترجمة رقم: 426؛ ابن خلدون، العبر، جـ4، ص160-161؛ المقري، نفح الطيب، م4، ص322؛
RAYMOND P. SCHEINDLIN, THE JEWS IN MOSLIM SPAIN, P.191.

[4] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص52.

[5] ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.79, 214.

[6] IBID, VOL.1, P.214.

[7] معجم البلدان، م4، (بيروت، دار صادر، 1376هـ-1957م)، ص324.

[8] الروض المعطار، ص458.

وهناك رجالٌ يلقَّبون بالقرطبيين يرد ذكرهم في عددٍ من الوثائق التي كتبت في الأقاليم الأسبانية الشمالية بعد زوالِ عصر الخلافة عن الأندلس، ومن هؤلاء المهاجرين موسى بن السوفير بن ماريوسف ابن القرطبي[1].

وهكذا انخفض عدد اليهود في قرطبة، وهجر الحي اليهودي الذي أقيم في شمال قرطبة، وصار الحي القديم الواقع في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة، زائداً عن حاجة اليهود الذين قدر عددهم عندئذٍ بنحو ألف يهودي فقط[2].

ويصوّر ابن غالب البلنسي أثر الفتنة على سكان قرطبة وأحيائها وقراها بقوله: "وبالفتنة الكائنة على رأس الأربع مئة سنة من الهجرة مُحيت رسوم تلك القرى، وغُيِّرت آثار ذلك العمران، فصار أكثرها خلاءً، تندب ساكنيها"[3].

لكن الوجود اليهودي في قرطبة استمر حتى نهاية الحكم الإسلامي لها. وتقدم المصادر الإسلامية العديد من الإشارات الدالة على ذلك، منها القضية التي ذكرها ابن سهل والتي تتعلق بدارٍ في قرطبة موقوفة على شنوغة اليهود[4].

وما ذكره ابن الخطيب وهو يتحدث عن الصراع على السيطرة على قرطبة بين المعتمد بن عباد وابن ذي النون، حيث يقول: "وفرَّ ابن عكاشة يوم المدافعة، فقتله بالقنطرة يهودي من رجال قرطبة"[5].

ومنها رواية ابن عذاري عمَّا حدث في قرطبة سنة (529هـ=1134م) التي يقول فيها: "وثارت العامة أيضا ً بقرطبة في هذه السنة في رجب على اليهود -لعنهم الله-

بسبب قتلٍ وجد بين أظهرهم، ففتحت منازلهم، وانتهبت أموالهم، وقتل نفر منهم"[6].

وقول ابن قطان عن الحدث نفسه "وقتل يهودي مسلما ً سنة 529هـ، فاستطال المسلمون على اليهود، فنهبت أموالهم، وهدمت ديارهم وذلك بقرطبة"[7].

ثانيا ً: طليطلة (TOLEDO)

يصفها الحميري فيقول "هي مركز لجميع بلاد الأندلس ... عظيمة القطر، كثيرة البشر، وهي كانت دار المُلْك بالأندلس حين دخلها طارق، وهي حصينة، لها أسوار حسنة، وقصبة حصينة وهي أزليَّة من بناء العمالقة، وهي على

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.79, 215.

(2) IBID, VOL.1, P.215.

(3) ابن غالب البلنسي، محمد بن أيوب، نص أندلسي جديد، قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق: لطفي عبد البديع، (القاهرة، 1951 م)، ص37.

(4) الأحكام الكبرى، ص60 - 65.

(5) ابن الخطيب، لسان الدين، أعمال الأعلام، حققه ونشره: إ. ليفي بروفنسال، تحت عنوان: تاريخ أسبانيا الإسلامية، (بيروت، دار المكشوف، ط2، 1956م)، ص158-159.

(6) البيان المغرب، جـ 4، ص93.

(7) ابن القطان، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي الفاسي، المعروف بابن القطان، نظم الجمان، تحقيق: محمود علي مكي، (الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، د.ت)، ص217.

ضفة النهر الكبير، وقلما يُرى مِثلها إتقانا ً وشماخة بنيان، وهي عالية القدر، حسنة البقعة... وكانت طليطلة دار مملكة الروم"[1].

ويصفها البكري بقوله: "ومدينة طليطلة قاعدة القوطِ ودار مملكتهم"[2]، ويقول الإدريسي: "ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم مدينة الملك، ومدارا ً لولاتها"[3].

وقد فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد[4]، سنة (92هـ=711م)[5]، ثم سقطت في أيدي النصارى الأسبان سنة (477هـ=1084م)[6]. وقد وجد المسلمون في طليطلة يهودا ً فضمَّوهم إلى قصبة المدينة مثلما فعلوا بغيرهم من يهود المدن الأخرى. يخبرنا بذلك ابن عذاري حيث يقول: "وألفى طارق طليطلة خالية، ليس فيها إلا اليهود في قوم قلة، وفرَّ علجها مع أصحابه ولحق بمدينة خلف الجبل، وتبعهم طارق بعد أن ضمَّ اليهود، وخلّى معهم بعض رجاله وأصحابه بطليطلة فسلك إلى وادي الحجارة"[7].

ويشير العديد من الوثائق والروايات التاريخية إلى استقرار اليهود في طليطلة طوال مدة الحكم الإسلامي لها. ففي وثيقة استخرجها محمد عبد الوهاب خلاف من كتاب الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي ونشرها مع وثائق أخرى تحت عنوان: "وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس"، هناك إشارة إلى يهودي عاش في طليطلة في نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[8]. ومما جاء في هذه الوثيقة: "فهمنا –وفقك الله– ما ذكرت من رفع الرافع إليك أنَّ غلاما ً أقفل عليه في دارٍ يستغيث. ويقول إنه يكره على اليهودية. فأرسلتُ من وثقت به، فكشفتُ عن ذلك. فانصرف ومعه يهودي وغلام بالغ. فأعلمتهما بما رفع إليك. فقال اليهودي: الغلام عبدي، ابتعته منذ أربعة أعوام من يهودي في طليطلة. والغلام حينئذٍ يهودي، وأنكر أن يكون ضربه، وأقفل عليه. وقال الغلام: أنا حّر ابن حّرين، مسلم ابن مسلمين من أهل مدينة طليطلة. قدمتُ منها منذ ثلاثة أعوام مع رجلٍ من اليهود، فنزلنا فندقا ً ثمَّ انتقلتُ منه إلى هذا اليهودي فخدمته. وأني حين أظهرتُ الإسلام، وأردتُ الخروج عن خدمته، ضربني. وأقفل عليّ. وكشف الغلام ظهره، وبه آثار ضربٍ شديد. ولا يمكنه فعل ذلك بنفسه ..."[9].

وقال دنلوب: إنَّ المؤرخ اليهودي أبراهام بن داود (504-576هـ=1110–1180م) تحدَّث عن وجود أشخاصٍ يهود من أصلٍ خزري يقيمون في طليطلة[10].

وهناك مجموعة من الوثائق والصكوك تصور حياة سكان طليطلة تحت حكم النصارى الأسبان، جمعها ونشرها المؤرخ الأسباني جونثالث بالنثيا، تحت عنوان: "نصف العرب، أو موزاراب طليطلة في القرنين الثاني عشر والثالث

---

(1) الحميري، الروض، ص393.
(2) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص87.
(3) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص536.
(4) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ2، ص12.
(5) م.ن، جـ2، ص9، 12.
(6) ياقوت معجم البلدان، م4، ص40.
(7) البيان المغرب، جـ2، ص12.
(8) تاريخ القضاء في الأندلس، ص410.
(9) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص47-48.
(10) د.م. دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة: سهيل زكار، (دار الفكر، ط1، 1407هـ–1987م)، ص171.

عشر"، وتحتوي هذه الوثائق على العديد من الإشارات الخاصَّة باليهود تحت حكم النصارى في طليطلة[1]. وقد نقل شكيب أرسلان بعضا ً من الوثائق الخاصة باليهود. منها: "اشترى أبو إسحاق بن نحميس اليهودي من جميلة بنت فرج زوجة البليوشي البنا، جميع خصِّها، وهو النصف من الكرم المعروف بالقوجال بحومة قرية جليكس من قرى مدينة طليطلة ..."[2]، ومنها: "اشترى مرتين الأرجيد يامن بن يوسف بن يعيش اليهودي جميع الثلاثة جبال الكروم المتصلة التي له بمرطيلة..."[3].

وبالرغم من أنَّ تاريخ هذه الوثائق يعود إلى زمن الحكم النصراني لطليطلة، إلاَّ أنها تعبر عن استقرارٍ قديم لهم فيها يرجع إلى أيام الحكم الإسلامي، يدلَّ على ذلك أنَّ كثيرا ً من هذه الوثائق والصكوك قد كتبت باللغة العربية[4] التي أتقنها كثير من اليهود خلال الحكم الإسلامي.

واستقرَّ معظم أفراد الجالية اليهودية في طليطلة في الحي اليهودي الذي يقع في الجزء الغربي من المدينة[5]. وتؤكد وثيقة أسبانية تعود إلى سنة (526هـ=1131م)، أنَّ اليهودَ قد عاشوا في هذا الحيّ حتى نهاية الحكم الإسلامي لطليطلة (478هـ=1085م)، إذ تُبيّنُ أنَّ الملك ألفونسو السابع قد قام بنقل ملكية حمام عام يملكه اليهود في هذا الحي منذ العهد الإسلامي إلى ديرسان كليمنت (SAN CLEMENT)[6].

وما تزال بعض الشوارعِ والساحات في هذا الحي تحمل إلى الآن أسماء يهودية، فهناك شارع صاموئيل هاليفي (CALLE SAMUEL HALEVI)، وشارع دي لا جوديرا (CALLE DE LA JUDERIA)، أي شارع الحي اليهودي، وساحة دي لا جوديرا (PLAZA DE LA JUDERIA) التي تقع في مركز ذلك الحي[7].

أما بالنسبة لحدود الحي اليهودي في طليطلة كما تقول المصادر اليهودية، فهي تمتد إلى الشمال الغربي حتى تصل إلى الباب المعروف باسم (CAMBRON)، وغربا ً حتى تصل إلى منحدر حاد يؤدي إلى وادي تاجة، وجنوبا ً حتى تصل إلى جبلٍ أطلق عليه اسم سان كريستوبال (SAN CRISTOBAL)، وشرقا ً حيث ساحة باسيوديل ترانسيتو (PASEA DEL TRANSITO)[8].

وكان الشارع الرئيس في الحي اليهودي هو الشارع المعروف حاليا ً باسم كالي ديل إنجل (CALLE DEL ANGEL)، والذي كان يعرفُ سابقا ً باسم شارع اليهود[9].

---

(1) أرسلان، الحلل السندسية، جـ1، ص366.
(2) م. ن، جـ1، ص367.
(3) م. ن، جـ1، ص371.
(4) م. ن، جـ1، ص420؛ ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص6 (الكلام لمقدم الكتاب محمود علي مكي).
(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.320; HAIM BEINART, TOTAL, ENCYLOPDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198.
ينظر: الخارطة رقم: (3).
(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.320;
HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1200.
(7) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.320-321;
HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198.
ينظر: الخارطة رقم: (4).
(8) HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198.
(9) IBID, VOL.15, P.1198;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.324.

وقد أحيط الحي اليهودي بسور بني سنة (205هـ=820م)، وكان يحتوي على قلعةٍ يُعتقدُ أنها أقيمت في إحدى زوايا الحي الجنوبية الضيقة المطلة على نهر تاجة، لأنها لم تكن محمَّية كبقية أجزاء الحي[1]. وعن هذه القلعة يقول شكيب أرسلان: "وإلى الجنوب من بيعة سان جوان الملوك كانت في القديم حارة اليهود، التي يقال لها "الجديرة"، وكان هؤلاء اليهود بنوا هناك حصنا ً حصينا ً يضعون فيه أموالهم"[2].

وهناك اثنين من المعابد المشيَّدة في الحيّ اليـهودي، والمحوَّلة لاحقاً إلى كنائس ما يزالان قائمان في موقعيهما الأصليين. وأحد هذين المعبدين هو المعبد الواقع بين كالي ديل إنجل (CALLE DEL ANGEL) وساحة الحي اليهودي (PLAZA DE LA JUDERIA)، وقد تحوَّل لاحقا ً إلى كنيسة دعيت سانتا ماريا لابلانكا (SANTA MARIA LA BLANCA)[3]. وعن ذلك يقول شكيب أرسلان: "وأمَّا كنيسة ماريا البيضاء فكانت في الأصل كنيسا ً لليهود، بُني في القرن الثاني عشر ثم تحوَّل إلى كنيسة للنصارى في بداية القرن الخامس عشر، ثم صارت محلّ خلوة للمتنسكين"[4].

ولم يكن الحي اليهودي في طليطلة حَّيا ً تجاريا ً، لذلك فقد استأجر عددٌ من التجار اليهود محال لهم في مركز المدينة شمال المسجد الكبير الذي كان المركز التجاري يقع بينه وبين السور الشمالي للمدينة[5].

كما امتلكوا المحال التجارية في حي القناة، الواقع بين الجامع الكبير وسوق تجار العطور، وكانت لهم هناك بعض المساكن التي كانت محصَّنة إلى حدً ما[6].

وكانت لليهودِ سوق خاصَّةً بالقرب من الحي اليهودي في جانبه الغربي، وتُدعى أيضاً القناة[7].

ويقدر بينارت عدد اليهود المستقرين في طليطلة في العهد الإسلامي، خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، بنحو أربعة آلاف نسمة، وقد كانوا حينئذٍ مقسمين إلى طوائف منفصلة بشكلٍ عام، وفقاً لأصولهم، أو للبلدان التي قدموا إلى طليطلة منها، فهناك يهود قرطبة، ويهود برشلونة، ويهود الخزر، وهكذا[8].

واشتهر في طليطلة العديد من العائلات اليهودية التي ينتمي بعضها حسب زعم أبنائها إلى ذريَّة داود عليه السلام. ومن هذه العائلات شوشان، والفخار وهاليفي، وأبو العافية، والزادوك، وفيروزل، وأفن نحمياس[9].

وينتمي إلى طليطلة العديد من المفكرين والأدباء والمشاهير اليهود، أمثال بنيامين الطوطيلي المتوفى سنة (586هـ=1190م)، وصاحب كتاب "همساعوث" أي الرحلات[10]، وإبراهيم بن داود الطليطلي صاحب كتاب "سفر

---

(1) HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198.

(2) أرسلان، الحلل السندسية، جـ1، ص432.

(3) ASHTOR, THE JWES, VOL.1, P.326; HAIM BEINART,TOLEDO., ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1199.

(4) أرسلان، الحلل السندسية، جـ1، ص432.

(5) ASHTOR, THE JWES, VOL.1, P.326-327.

(6) IBID, VOL.1, P.327.

(7) IBID,VOL.1, P.327.

(8) HAIM BEINART,TOLEDO., ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1200.

(9) الموسوعة العبيرية، 526، ص384؛ BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P1200-1201.

(10) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص82.

هقبالة" أي كتاب التصوف، وإبراهيم بن عزرا الذي كان أديبا ً وشاعرا ً، وهو والد إسحاق بن عزرا الذي رحل إلى مصر في زمن الموحدين، ومنها هاجر إلى العراق حيث اعتنق الإسلام

مع العالم اليهودي الشهير نتانيئيل المعروف بأبي البركة هبة الله[1]، وإسحاق بن قسطار الذي قال عنه صاعد الأندلسي: "كان بصيرا ً بأصول الطب مشاركا ً في علم المنطق مشرفاً على آراء الفلاسفة، وكان متقدما ً في علم العبـرانية بارعا ً في فقه اليهود، خبيرا ً في أخبارهم وتوفي بطليطلة سنة 448هـ، وهو ابن خمس وسبعين"[2].

---

(1) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص82-85.
HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1200;
MAYER KAYSERLING, TOLEDO, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.12, P.176.

(2) صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد، طبقات الأمم، نشر: لويس شيخو اليسوعي، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، 1912م)، ص89.

المبحث الثالث

مراكز الاستقرار اليهودي جنوبي الأندلس

استقر كثير من اليهود في المنطقة الجنوبية من الأندلس، وقد رغب اليهود بالإقامة فيها لخصوبة أرضها، واعتدال مناخها، ووقوع عدد من مدنها على الطرق التجارية والبحرية المهمة، وبسبب كثرة سكانها، وقربها من العاصمة قرطبة، ولقربها من الشمال الأفريقي التي يأتي منها وعبرها معظم المهاجرين اليهود إلى الأندلس[1].

وقد تركز يهود جنوبي الأندلس في كل من غرناطة، وأليسانة، ومالقة، وبجانة، والمرية.

أولا ً: غرناطة (GRANADA)

تقع مدينة غرناطة بين سلسلتين من الجبال، واحدة في جهتها الجنوبية الشرقية، سماها المسلمون جبال الثلج لأنَّ الثلج لا يذوب عن قممها أبدا ً، إذ "لا يزالون يرون الثلج نازلا ً فيه شتاءا ً وصيفا ً "[2]، ويبلغ ارتفاعها نحو 3480 مترا ً، واستمر هذا الاسم إلى الآن، لكنه ترجم إلى الأسبانية، فصارت تسمى "سيرانيفادا"، والسلسلة الأخرى تقع في جهتها الشمالية الغربية، موازية لجبال الثلج، وبينهما سهل خصبٌ تقع فيه المدينة[3].

وقد فتح المسلمون غرناطة سنة (92هـ =711م)، "فألفوا بها يهودا ً ضموهم إلى قصبة غرناطة"[4]، وتعاملوا معهم على وفق الأحكام الشرعية الخاصة بأهل الذمة، فنعم اليهود في غرناطة، كما في غيرها من مدن الأندلس بالتسامح والعدل والرخاء.

وانتشرت أخبار ذلك التسامح بين اليهودِ في كل مكان، فأخذوا يتدفقون إلى مدن الأندلس عبر مضيق جبل طارق، وكان لغرناطة نصيب وافر من هؤلاء المهاجرين باعتبارها من المدن الأندلسية الكبرى الواقعة في طريق اليهود العابرين إلى الأندلس من الشمال الأفريقي. ومما يدلُّ على كثرتهم فيها تسميتها بـ "أغرناطة اليهود"، حيث يقول الحميري: وتعرف بـ "أغرناطة اليهود لأنَّ نازلتها كانوا يهودا ً "[5].

وأرى أنَّ تسمية غرناطة بـ "أغرناطة اليهود" لا يعني أنَّ غرناطة مدينة يشكّل اليهودُ فيها أكثرية السكان. إذ كان عددهم فيها في عهد باديس الذي يعد أزهى عهودهم هناك، لا يزيد كثيرا ً على الأربعة آلاف نسمة.

---

(1) الموسوعة اليهودية ص273؛ الموسوعة العبرية، م25، ص478، م26، ص283؛ بوتشيش، المرابطون وسياسة التسامح، مجلة دراسات أندلسية، تونس، ع11، 1984م)، ص24؛

MARTIN, GILBERT, THE JEWISH HISTORY ATLAS, (LONDON, 1969), P.15.

(2) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص85.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.310.

(4) ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص101.

(5) الحميري، الروض المعطار، ص45.

وتقديرنا لهذا العدد جاء من خلال الروايات التي تحدَّثت عن عدد القتلى اليهود في ثورة مسلمي غرناطة عليهم. إذ ذكر ابن عذاري بأنهم أكثر من ثلاثة آلاف يهودي[1]، وقدَّرهم الشنتريني بأكثر من أربعة آلاف[2]. والظاهر أنَّ القتلى كانوا أكثر من الناجين بكثير، إذ يقول ابن عذاري في معرض حديثه عن يوسف بن إسماعيل بن نغدلة: "إلى أنَّ حدثته نفسه الفاجرة بأشياء أخرجته لضرب رقبته وقتل جماعة عظيمة من أهل مِلَّته"[3]، ويقول أيضاً: "وقتل في هذا اليوم من اليهودِ جملة عظيمة، ونهبت دورهم"[4]. فإذا صحَّ أنَّ القتلى كانوا أغلبية رجال اليهود، وهذا ما نميل إليه، فإنَّ ذلك يعني أن عدد يهود غرناطة عندئذٍ يمكن أن يقدَّر ببضعة آلافٍ فقط.

وأرى أنَّ سبب تسمية غرناطة بـ "أغرناطة اليهود"، وتسمية العذري لروطة (RUEDE) بـ"روطة اليهود"[5]، وتسمية ابن سعيد لبيانة[*] بـ"بيانة اليهود"[6]، وتسمية

الإدريسي لأليسانة بـ "مدينة اليهود"[7]، ولطركونة بـ "مدينة اليهود"[8] و"طركونة اليهود"[9]، هو أنهم لاحظوا أنَّ اليهودَ يسكنون في هذه المدن بكثرة، على غير ما رأوه في المدن الأخرى التي كان وجود اليهودِ فيها قليلا ً غير لافت للنظر.

لكنَّ هذه الكثرة التي لاحظها المؤرخون لم تكن كثرة في معظم الأحيان بالنسبة لسكان المدينة، بل بالنسبة للتواجد اليهودي في المدن الأندلسية الأخرى. ومن الممكن أن تستثنى أليسانة من ذلك، إذ سنبيّن لاحقا ً أن غالبية سكانها كانوا من اليهود.

وكانت طائفة اليهود في غرناطة تعدُّ من الطوائف المهمة في الأندلس، وكان الجاؤون سعديا يكتب إليهم من العراق الرسائل التي يخصُّ بها الطوائف اليهودية الكبيرة في المدن الأندلسية[10].

وشهدت غرناطة هجرة أخرى في أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، إذ توجَّه إليها العديد من اليهود القرطبيين في أعقاب الفتن والاضطرابات التي حدثت بعد انتهاءِ عصر الخلافة في الأندلس. وكان إسماعيل بن يوسف بن نغدلة أحد هؤلاء المهاجرين، وقد صار الوزير الأول في غرناطة وقائدا ً للجيوش في دولة باديس في عصر الطوائف، وخلفه بعد موته ولده يوسف. وقد سيطر اليهود في عهد هذين الوزيرين على معظم الوظائف المهمة

---

(1) البيان المغرب، جـ3، ص261.
(2) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص769.
(3) البيان المغرب، جـ3، ص265.
(4) م. ن، جـ 3، ص266.
(5) ترصيع الأخبار، ص35.
(*) بيانة: "بالأندلس من أعمال قرطبة... وهي على نهر مربلة".
الحميري، الروض المعطار، ص119.
(6) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، جـ 1، ص105، ترجمة رقم: 39.
(7) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص571.
(8) م. ن، م2، ص734.
(9) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص734.
(10) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.317.

في غرناطة، وظلموا المسلمين ظلما ً شديدا ً[1]، وقد طال ظلم إسماعيل وولده يوسف عددا ً من يهود غرناطة، الذين كانوا معارضين له، ففرّوا منها إلى إشبيلية[2].

وقد تزايدَ عدد اليهود في غرناطة بشكلٍ ملحوظ خلال حكم الوزيرين اليهوديين[3]، لكنَّه عاد وتناقص بشكلٍ كبير بعد ثورة المسلمين على ظلمهم وتجاوزاتهم، حيث قتل وشرد معظم يهود غرناطة[4].

وفي عهد المرابطين عاد كثير من اليهود إلى غرناطة[5]. ويقدم ابن عذاري إشارة تبيّن أنَّ عمر بن علي بن يوسف بن تاشفين الذي كان واليا ً لأبيه على غرناطة قد "اتخذ له كاتبا ً يهوديا ً منها"[6]. وأرى في وصول يهوديٍّ من غرناطة إلى منصب لدى واليها مؤشر على تواجد لليهودِ في المدينة. ولعلّ تسامح المرابطين وإنصافهم لأهل الذمَّة[7] هو الذي شجع اليهود على العودة إلى هذه المدينة.

ويقدم ابن الخطيب إشارة، يُفهم منها أنَّ كثيرا ً من يهود غرناطة المقيمين قرب الأحياء النصرانية قد طالهم النفي إلى المغرب سنة (520هـ=1126م) الذي تعرَّض له المعاهدون النصارى عقابا ً لهم على قيامهم بدعوة النصارى الأسبان لغزو غرناطة ومساعدتهم عند قدومهم، حيث يقول ابن الخطيب واصفا ً ذلك النفي: "وأزعج منهم إلى بر العدوة في رمضان من العام المذكور عددٌ جم، أنكرتهم الأهواء، وأكلتهم الطرق، وتفرقوا شذر مذر، وأصاب كثيرٌ من الجلاء جمعتهم من اليهود، وتقاعدت بها منهم طائفة"[8]. ويبدو أنَّ هؤلاء اليهود المجاورين للنصارى قد شاركوا في مساعدة الأسبان، مما دفع السلطة إلى عقابهم أيضا ً.

وفي عهد بني الأحمر، كانت غرناطة ملجأ لليهود الهاربين من ردود فعل النصارى الأسبان ضدهم[9]، وقد استمر ذلك إلى أن سقطت في أيديهم سنة (897هـ=1492 م).

ويقول آشتور إن اليهود في غرناطة كانوا يقيمون في الأحياء الواقعة جنوب وغرب جبل مورور عند سفحه، وقد أقيم على الطرف الغربي لذلك الجبل الحصن المعروف بحصن مورور، وهو يُسمَّى الآن باسم سايديرو (CAIDERO)، ويقع هذا الجبل جنوب المرتفعات التي أقيمت عليها القصور الفخمة لملوك غرناطة، المعروفة باسمها القديم "الحمراء" كما انتشروا في المنطقة السهلية الواقعة جنوب هذه الجبال، والتي كانت تسمى فحص البونت، ويطلق عليها الآن اسم كامبوديل برنسيب (CAMPO DEL PRINCIPE)، وكانت محاذية لوادي دارو، الذي يمرُّ بغرناطة من الشمال إلى الشمال الغربي، ثم يصب في وادي شنيل، وكان هذا الوادي يجري في الشتاء ويجف

---

[1] ينظر: الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص766-767؛ ق2، م2، ص562؛ ابن سعيد، المغرب، جـ2، ص114، ترجمة رقم: 426؛ ابن خلدون، العبر، جـ4، ص160–161؛ المقري، نفح الطيب، م4، ص322.

[2] HAIM BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.582.

[3] ينظر: ابن بلقين، الأمير عبد الله، التبيان، حققه ونشره: إ. ليفي بروفنسال، تحت عنوان: مذكرات الأمير عبد الله، (القاهرة، دار المعارف، 1955م)، ص32؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص232.

[4] ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص231، 257-276؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص233؛ المقري، نفح الطيب، م4، ص322.

[5] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.728-729.

[6] البيان المغرب، جـ4، ص77.

[7] ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، جـ4، ص77.

[8] الإحاطة، م1، ص114.

[9] HAIM BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA, JUDAICA, VOL.7, P.825.

في الصيف، وقد أقيم مكانه الآن ساحة بلازا نوفا (PLAZA NUEVE)، وشارع كالي دي لوس ريس كاتوليكوس (CALLE DE LOS REYES CATOLICOS) الذي يعد الشارع الرئيس في غرناطة الحديثة[1].

ومما يؤكّد استقرار اليهود في هذه المنطقة قول البكري: "والحجر اليهودي في ناحية حصن البونت، وهو أنفع شيء"[2]، ويبدو أنَّ اليهود الذين كانوا يسكنون هذا المكان كانوا يستخدمون حجرا ً معينا ً يوجد فيه بكثرة لأغراضٍ طبية، فحمل هذا الحجر اسمهم وصار يعرف بـ"الحجر اليهودي".

وعندما سقطت غرناطة في يدِ النصارى الأسبان سنة (897هـ=1492م)، وقام الملك القشتالي فرديناند بطردِ اليهودِ منها، قام بهدم الحي اليهودي، وبنى مكانه كنيسة سَّماها على اسم مريم العذراء[3].

وعندما فتحت غرناطة أبوابها للقشتاليين كانت المدينة تحوي نحو خمس مئة يهودي، مع العلم أنهم كانوا يُقدَّرون بعشرين ألفا ً في عهد محمد الخامس (755–760، 763–792هـ=1354-358م، 1361-1389م). ويمكن القول إنَّ اليهود لم يتجاوز عددهم الألف نسمة داخل سلطنة بني الأحمر في أواخر القرن التاسع الهجري/أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وعندما أصدر الملكان إيزابيلا وفرديناند في (31-آذار-1492م) الوثيقة الخاصة باليهود، والتي خيّروهم فيها بين الرحيل أو التنصر، رحل الذين أبوا تغيير دينهم إلى المغرب، واستقروا فيه[4].

ثانياً: أليسانة (LUCENA)

تقع أليسانة جنوب مدينة قرطبة، على بعد نحو أربعين ميلا ً منها[5]، وهي مدينة قديمة، تقول إحدى الأساطير اليهودية إنَّ اليهود هم الذين أسسوها، وتدعى بعض العائلات الشهيرة فيها مثل عائلة المؤرخ اليهودي إبراهيم بن داود، أنَّ استيطانها في أليسانة يعود إلى زمن إشبان الذي جاء بهم من القدس أسرى بعد أن شارك في غزوها مع نبوخذ نصر. وقام أبرابانيل بربط اشتقاق اسم المدينة بمدينة لوز (LUZ) التي ورد ذكرها في الإنجيل[6].

وقد ورد اسم المدينة في المصادر الإسلامية بصورٍ مختلفة، فأكثرهم يقولون: "أليُسَّانة"[7]، وقد ذكرها الإدريسي بهذه الصورة، لكنه ذكرها في المصدر نفسه بصورة أخرى وهي "أليشانة"[8]، وذكرها ابن سعيد الأندلسي

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.314-315.
ينظر: الخارطتان رقم: (5)، ورقم: (6).

(2) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص128.

(3) فرحات، يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، (بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر، 1982م).

(4) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص40-41؛ GREATZ, HISTORY OF THE JEWS, VOL.3, P.263.

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص 571 - 572.

(6) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.309.

(7) ابن حيان، المقتبس، نشره الأب ملشور م. أنطونية، (باريس، 1937)، ص93؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن على الحجي، ص149؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص571، 572؛ ابن عبد الملك المراكشي، أبي عبد الله محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، السفر السادس، (بيروت، دار الثقافة، ط1، 1973م)، ص26؛ ابن السماك العاملي، الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار، (الدار البيضاء، دار الإرشاد الحديثة، د.ت)، ص80.

(8) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص537.

بـ"البيسانة"[1]، وتحدَّث صاحب كتاب "نبذة العصر في أخبار ملوكِ بني نصر" عن معركة وقعت بين المسلمين والنصارى الأسبان سنة (888هـ=1483م)، وقال إنها "موقعة أللَّسَّانة"[2].

وأرى أنَّ الاسم الصحيح هو "أليُسَّانة"، وهو ما اتفقت عليه معظم المصادر الإسلامية. والظاهر أنَّ الاختلاف القليل عن هذا الرسم قد حدث بسبب التصحيف، في تحويل الشَّدة الواقعة على حرف السين في "أليسّانة" إلى حرف الشين في "أليشانة" وهكذا أدَّت تصحيفات أخرى إلى رسومٍ أخرى للكلمة تختلف عنها قليلا ً.

وتسميها المصادر اليهودية الحديثة "لوسينا"[3] تقليدا ً للأسبان الذين يطلقون عليها الآن اسم (LUCANA) [4]، بينما كان يهود الأندلس يسمونها "أليسانة"[5] مثلما يفعل المسلمون.

وتعد الطائفة اليهودية في أليسانة من الطوائف المهمة في الأندلس، إذ كانت حتى مطلع القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، تقوم بدور المركز الروحي لليهود في الأندلس. وفي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي صارت قرطبة هي التي تقوم بهذا الدور، ولكن حتى في ذلك الوقت كان لأليسانة علماء أولي شأن[6].

وقد تحدَّثت بعض المصادر الإسلامية عن أليسانة، ووصفتها بأنها مدينة اليهود، فذكر ابن حيان أنَّ "مدينة أليسانة يهود الذمَّة"[7] قد تعرضت سنة (277هـ=890م) لحصار عمر بن حفصون[8] وكتب الإدريسي واصفاً لها في النصف الأول من القرن السادس الهجري: "مدينة اليسانة، وهي مدينة اليهود، ولها ربضٌ يسكنه المسلمون وبعض اليهود، وبه المسجد الجامع، وليس على الربض سور، والمدينة مدينة متحصنة بسور حصين، ويطوف بها من كل ناحيةٍ حفير عميق القعر والسروب، وفائض مياهها قد ملأ ذلك الحفير. واليهود يسكنون بجوف المدينة ولا يداخلهم فيها مسلم البتَّة، وأهلها أغنياء مياسير، أكثر غنىً من اليهود الذين ببلادِ المسلمين، ولليهود بها حذر وتحصُّن ممن قصدهم، ومن أليسانة إلى مدينة قرطبة أربعون ميلاً"[9]. وقال صاحب الحلل الموشية: "مدينة أليسانة، وهي مدينة منيعة سورها من أعظم الأسوار، انفرد بسكانها اليهود"[10].

يتبين من الروايات السابقة أن مدينة أليسانة المسوَّرة كانت تقتصر على السكان اليهود فقط. وأنَّ المسلمين يقيمون في ربضها، أي خارج أسوارها ويشاركهم الإقامة في هذا الربض بعض اليهود. وهذا يعني أنَّ العلماء المسلمين الذين نسبوا إلى مدينة أليسانة[11]، كانوا من سكان ربض المدينة. والظاهر أنَّ عدد المسلمين في ذلك الرَّبض كان كبيرا

---

(1) ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، ص149.

(2) مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، استخرجه الفريد البستاني، (المغرب، مطبعة الفنون المصورة، 1940م)، ص12.

(3) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550; الموسوعة العبرية، م26، ص384؛ .ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308

(4) أرسلان، الحلل السندسية، جـ1، ص 205.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308; HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.623.

(6) ينظر الموسوعة العبرية، م26، ص381؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308

(7) ابن حيان، المقتبس، ق3، نشر الأب منشور م. أنطونية، ص93.

(8) م.ن، ص93.

(9) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص571 - 572.

(10) ابن السماك العاملي، الحل الموشية، ص80.

(11) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص571.

ً، حيث ذكر الإدريسي أنَّ "به المسجد الجامع"[(1)]، وذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه كان للمسلمين فيها قاضيا ً، وإماما ً للصلاةِ وخطيبا ً، حيث يقول: "محمد بن إبراهيم الحضرمي: يُسَّاني، أبو عبد الله روى عن أبي القاسم بن بشكوال وصحبه، وكان ذا حظ من العربية واللغة مع الصلاح والفضل، وقدم إلى الصلاةِ والخطبة ببلده، واستقضي به مدة طويلة"[(2)]. والظاهر أنَّ اسم هذه المدينة قد ارتبط في أذهان مسلمي الأندلس باليهود، وصار بعض الحكام ينفون إليها الغاضبين عليهم بقصدِ معاقبتهم وإهانتهم. فقد نفى الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب (580–595هـ=1184-1198م) إلى أليسانة أبا الوليد محمد بن أحمد بن رشد، يحدثنا بذلك ابن عبد الملك المراكشي فيقول: "ثمَّ أمر أبو الوليد بسكنى أليسَّانة، لقولِ من قال إنه ينسب في بني إسرائيل، وإنه لا يُعرف له نسب في قبائل الأندلس، وعلى ما جرى عليهم من الخطب، فما للملوك أن يأخذوا إلاَّ بما ظهر... وتفرَّق تلاميذ أبي الوليد أيدي سبأ"[(3)]. "... ثم عُفي عنه واستدعي إلى مراكش، فتوفي بها ليلة الخميس التاسعة من صفر خمسٍ وتسعين وخمس مئة"[(4)].

وذكر ابن سعيد الأندلسي في ترجمته لأبي القاسم بن حسان الإشبيلي أنَّ الأمير الموحّدي أبا العلاء إدريس، يوم كان حاكماً على إشبيلية، رأى أبا القاسم بن حسان، وقد "صار له في إشبيلية موارد ومصادر، فوجد من ذلك في نفسه أبو العلاء، حتى نفاه، وأسكنه البيسانة مدينة اليهود، وأدام فيها مداه أو (مدة)، إلى أن عفا عنه بالشفاعات، وأقام بإشبيلية مطرح الجانب غير آمن شر العواقب ..."[(5)].

ولا يعني انفراد اليهود بالسكن داخل مدينة أليسانة، ونسبتها إليهم، أنهم كانوا يستقلون فيها عن حكم المسلمين، فهناك من النصوص التاريخية ما يؤكد أنها كانت دائماً تابعة لحكم المسلمين، وأنَّ يهودها كانوا يؤدون الجزية للحكومة الإسلامية التي توكل شخصا ً من يهود المدينة بجمعها منهم وتسليمها لها. وعن ذلك يقول ابن حَّيان: أنه في يوم السبت لعشر بقين من ربيع الآخر من سنة ثلاثٍ وستين وثلاث مئة "سُجّل الحجاج بن متوكل اليهودي على قسامة قومه يهود أليسانة"[(6)]. كما بين ابن حيان أنهم كانوا تحت الذمة عندما سماها "أليسانة يهود الذمة"[(7)]. وعندما امتنع يهود أليسانة عن دفع الجزية لإمارة غرناطة في عهد عبد الله بن بلقين أرسل إليهم جيشا ً أجبرهم على دفعها[(8)].

وقد أكَّدت المصادر اليهودية أيضا ً على أنَّ سكان مدينة أليسانة كانوا من اليهودِ فقط، حيث كتب كبير أحبار اليهود في العراق الجاؤون نطروناي سنة (239هـ=853م) ردا ً إلى يهود أليسانة[(9)] يقول فيه: "أما بخصوص

---

(1) م. ن، م2، ص 571.
(2) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ص108، ترجمة رقم 287.
(3) م. ن، السفر السادس، ص26، ترجمة رقم: 51.
(4) م. ن، السفر السادس، ص31، ترجمة رقم: 51.
(5) اختصار القدح المعلى، ص149، ترجمة رقم: 34.
(6) المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص149.
(7) المقتبس، نشر ملشور م. أنطونية، ص93.
(8) ابن بلقين، التبيان، ص 130-132. تفاصيل هذه الحادثة توجد في الفصل الثالث من هذا البحث.
(9) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550; BEAR, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRISTAIN SPAIN, VOL.1, P.23; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308.

سؤالكم الذي تذكرون فيه أنَّ أليسانة

مدينة يهودية ذات سكان يهود كثيرين ... دون وجودِ أي فردٍ غير يهودي بينكم"[1].

كما كتب إليهم رداً آخر يدعوهم لممارسة نشاطاتهم الدينية، ويتساءل عن أسباب تقاعسهم عن ذلك، وهم يعيشون في مدينة لا يوجد فيها أحدٌ من غيرِ اليهود[2].

أما عن سبب انفراد اليهود بالسكن في هذه المدينة، وعدم إقامة المسلمين بينهم فيها، فلم تسعفنا به المصادر الإسلامية ولا حتى اليهودية. لكننا نستطيع استنتاجه من خلال المعلومات القليلة المتوفرة. وهو في تصوري أنَّ المسلمين عندما فتحوا أليسانة وجدوا أن أكثر سكانها من اليهود. ولم يغادر هؤلاء اليهود منازلهم مثلما فعل كثير من النصارى في المدن الأخرى الذين فرّوا عن منازلهم، أو قتلوا في المعارك وتركوها. ولذلك لم يكن هناك متسع لكي يسكنها المستقرون الأوائل الذين من الطبعي أن يفضلوا الاستقرار في بيوت جاهزة للسكن. وهو ما توفَّر لهم في مدن أخرى.

كما أنَّ معرفة المسلمين بأخلاق اليهود وطبائعهم ونفورهم منها، لم تشجعهم على تشييد منازل لهم في مدينة يغلب على سكانها اليهود. ولذلك نجدهم يقيمون بيوتهم ومسجدهم الجامع في ربض المدينة خارج أسوارها، ولم يجاورهم فيها إلا بعض اليهود، كما هو الحال في المدن الأخرى. والذي يجعلنا نقول إنَّ الفاتحين وجدوا في أليسانة أغلبية يهودية، هو ما توفر لدينا من معلومات في المصادر اليهودية عن قدم وجودهم في هذه المدينة[3]. كما أنه من غير المعقول أن تكون هذه المدينة المحصنة بشكل متميز[4] قد أعطيت لليهود بعد الفتح الإسلامي، ولولا أنهم كانوا يستوطنونها قبل الفتح بأعدادٍ كبيرةٍ لخصَّ المسلمون بها أنفسهم. ولو أنَّ عدد اليهود في المدينة كان قليلاً لاحتمل المسلمون الإقامة بينهم مثلما احتملوا اليهود في المدن الأندلسية الأخرى.

وكانت مهن يهود أليسانة متنوعة للغاية، حيث عملوا في كل فروع الصناعة والتجارة، وكان تجار أليسانة يبيعون المنتجات الزراعية الخاصة بالمدينة إلى بقية الأقاليم الأندلسية، وكان كبار التجار قد أقاموا علاقات عن طريق ميناء بجانة القريب ومع بقية الدول المحيطة بالبحر المتوسط. وقد حققوا أرباحاً كثيرة من تجارتهم[5].

ويصف الإدريسي ثراءهم المادي بقوله: "وأهلها أغنياء مياسير أكثر غنىً من اليهود الذين ببلاد المسلمين"[6].

ومن مشاهير اليهود في أليسانة عرف أليعازر بن صاموئيل حركا الذي كان معاصراً للجاؤون عمرام، رئيس اليهود في العراق، وقد منحه هذا الجاؤون في منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي لقب الألوف، ولقب (روش كالا)، وأصبح من أشهر أساتذة مدرسة أليسانة اليهودية. كما عاش في منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308.
نقلاً عن: K'BHUSAT HAKHAMMIM, P.110-111.

(2) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

(3) IBID, VOL.11, P.550;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.309.

(4) ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص571.

(5) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.309.

(6) نزهة المشتاق، م2، ص571 - 572.

الميلادي في أليسانة حبر يهودي يُدعى جوزيف، وقد تراسل أيضا ً مع رؤساء المدارس اليهودية في العراق وكتب له الجاؤون عمرام قائمة من مئة صلاة للبركة وعددا ً من الردود[1].

وكان رئيس الطائفة اليهودية في أليسانة في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي يدعى ابن ميمون، وهو الذي حرَّض يهود أليسانة على التمرُّد وعدم دفع الجزية لأمير غرناطة عبد الله بن بلقين آخر أمراء بني زيري في غرناطة[2].

ومن مشاهير يهود أليسانة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إسحاق بن يهودا بن غياث، وإسحاق الفاسي وجوزيف بن ميغاش، وقد تعاقب هؤلاء الأحبار على رئاسة المدرسة اليهودية في أليسانة[3].

وكان إسحاق بن مرشاءول أحد أشهر أساتذة هذه المدرسة في أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وهو أستاذ النحوي اليهودي مروان بن جناح الذي كان هو والشعراء موسى وإبراهيم ابني عزرا، ويهودا هاليفي، وجوزيف بن سهل فاعلين جدا ً في أليسانة[4].

كما عاش في أليسانة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي الشاعر العبري الشهير أبو الربيعة ابن باروخ[5].

وكان طلاب العلم اليهود يتوجهون إلى أليسانة من جميع مدن الأندلس والشمال الأسباني ليتعلموا على أيدي أحبارها المشهورين، أمثال أبو الوليد بن حسداي وإبراهيم بن باروم وأبو سليمان بن راشلة[6].

ثالثاً: مالقة (MALAGA)

"مدينة على شاطئ البحر، عليها سور صخر، والبحر في قبليها"[7]، وقد فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد سنة (92هـ=711م)[8]، واستمرَّ الحكم الإسلامي لها حتى سنة (893هـ=1487م)، حيث سقطت في يدِ الملكين الأسبانيين فرديناند وإيزابيلا[9].

وكان الحي اليهودي في مالقة في العهد الإسلامي يقع في الجزء الشرقي من المدينة، وكانت المقبرة اليهودية على منحدرات جبل الفارو (GIBRAL FARO)[10].

---

(1) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.
(2) ابن بلقين، التبيان، ص130 –131. ستذكر تفاصيل ذلك في فصل الثالث من هذا البحث.
(3) الموسوعة العبرية، م26، ص384؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص61.
HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.
(4) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.
(5) IBID, VOL.11, P.550
(6) BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.
(7) ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص517.
(8) ابن الخطيب، لسان الدين، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، (القاهرة، المطبعة السلفية، 1347هـ)، ص177.
(9) HAIM BEINART, MALAGA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.817.
(10) IBID, VOL.11, P.817.
ينظر: الخارطة رقم: (7).

وكانت مالقة ملاذاً لإسماعيل بن نغدلة ويهودٍ آخرين، حيث وصلوا إليها من قرطبة سنة (404هـ=1013م)[1]، بعد الاضطرابات التي أعقبت سقوط الخلافة في الأندلس.

(1) IBID, VOL.11, P.817.

وقد أنجبت الطائفة اليهودية في مالقة الشاعر العبري الشهير سليمان بن جابيرول، الذي ولد فيها حوالي سنة (412هـ=1021م)[1].

ويُقدَّرُ عددُ اليهودِ في مالقة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/منتصف القرن الحادي عشر الميلادي بنحو مائتي نسمة، وعدد غير اليهود بنحو عشرين ألف نسمة. وعندما سقطت المدينة في يدِ الأسبان سنة (893هـ=1487م)، كانت تعيش فيها مئة عائلة يهودية[2].

وقد غادر المسلمون واليهود مالقة على أثر مرسوم أصدره الملكان الأسبانيان فرديناند وإيزبيلا سنة (896هـ=1490 م)، وتمَّ توطين النصارى مكانهم[3].

رابعا ً: بجانة (PECHINA) والمرية (ALMERIA)

كانت بجانة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي مجرد قرية صغيرة يقيم فيها عدد من المسلمين الذين يتولون حراسة الساحل الشرقي للأندلس من هجمات النورمان وقد انشأوا في أحد الخلجان القريبة من بجانة برجا ً للمراقبة سموه المرية[4].

وبمرور الوقت تطورت بجانة وأحيطت بسور، وصارت مدينة مزدهرة، وقد استمرت بالازدهار إلى أن قام الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (344هـ=955م) ببناء مدينة في منطقة البرج سماها المرية، وقد أصبحت المرية مدينة مزدهرة وقاعدة بحرية، عظيمة وأثرت على مكانة بجانة فظلت تتضاءل إلى أن صارت في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي مجرد قرية صغيرة[5]، وهي ما تزال كذلك إلى الآن[6].

يقول العذري: "وليست المرية بأوليَّةِ العمارة، وإنما اتخذها العرب رباطا ً، وابتنيت فيها محارس، وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها، ولا عمارة فيها يومئذ ولا سكنى. وعليها سور صخر منيع، بناه الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة ومن مدينة بجانة إلى مدينة المرية خمسة أميال وسدس"[7].

وقد استقرَّ في بجانة في مرحلة ازدهارها مجموعة من اليهود عملوا في صناعة الحرير وتصديره. وعندما كتب الجاؤون سعديا إلى الطوائف المهمة في الأندلس، لم يغفل عن طائفة بجانة. وقد ظل اليهود يقيمون فيها حتى نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. وكان قائد الطائفة اليهودية في بجانة في ذلك الوقت هو صاموئيل

---

(1) HAIM BEINART, MALAGA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.817.

(2) IBID, VOL.11, P.817.

(3) IBID, VOL.11, P.817.

(4) الحميري، الروض المعطار، ص79، 537؛
IBID, VOL.1, P.307.
ينظر: البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص128، (هامش المحقق). يتحدث الإدريسي عن قرب بجانة من المرية فيقول: "وهذا الوادي المنسوب إلى بجانة بينه وبين االمرية أربعة أميال" الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص562.

(5) ينظر البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص128؛ ياقوت، معجم البلدان، م1، ص339؛ الحميري، الروض المعطار، ص79، 537، الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، (مصر، 1381هـ-1961م)، ص35.

(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.318.

(7) العذري، ترصيع الأخبار، ص86.

هاكوهين بن جوزّيه، الذي يعود أصله إلى فاس بالمغرب. وكان صاموئيل ضليعا ً في علوم الشريعة اليهودية، وله مراسلات مع الجاؤون شعريرة في العراق[1].

وعندما اضمحل اسم بجانة من بين أسماء المدن الأندلسية، اختفت الطائفة اليهودية منها[2].

وما من شك بأنَّ معظم يهود بجانة قد انتقلوا كبقية أهلها إلى مدينة المرية القريبة والتي حلت محلها في المكانة والأهمية. وعن ذلك يقول العذري: "وانتقل أهل بجانة إلى المرية سنة اثنتين وأربع مئة"[3].

ويتوفر العديد من الإشارات التاريخية التي تدل على استقرارٍ لليهود في مدينة المرية. إذ يروي العذري الذي عاش في هذه المدينة، وتوفي سنة (487هـ=1094م)[4] حادثة شاهدها بنفسه، فيقول: "ومن الغرائب بمدينة المرية صبيٌّ ولد أعمى أصم أبكم. وهو ابن رجل من التجار، يجس بيده وجه من قرب منه ولحيته وصدره، ويخبر بالإشارة إلى صناعته وطريقته، رأيت ذلك منه مرارا ً عِدّة وجربته لما قيل لي ذلك عنه، ورأيته يوما ً وهو يضرب صبيا ً فقلت ماله معه ؟ فقيل لي إن الصبي الذي يضرب يهودي، وأنه لما لمسه بيده بدأ يضربه. فهزته كالمنكر عليه ذلك، فأشار إليّ بيده أي أنه ليس بمسلم، وأنه مثل الذي يعبد الصليب يشير بذلك كله. وأخبرني جماعة أنهم رأوه صنع ذلك مرارا ً مع من لمس من اليهود والنصارى"[5].

ويقول ابن حزم الأندلسي الذي عاصر عهد أمراء الطوائف وتوفي سنة (456هـ=1063م): "ولقد كنت يوما ً بالمرية قاعدا ً في دكان إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي"[6].

ويشير الضبي إلى يهودي صار وزيراً لحاكم المرية في عصر الطوائف. حيث يقول: "كان الفقيه المقري أبو محمد بن سهل (ت: 480هـ=1087م) يقرىء بالمرية، وكان معظما ً عند أهلها، فدخل الحمام ذات يوم، فوجد فيه اليهودي وزير صاحب المرية في ذلك التاريخ"[7].

وجاء في خطاب أرسله تاجر يهودي من الإسكندرية إلى صديق له في القاهرة يقول فيه: "لقد وصلت توّا ً من المرية"[8].

وهناك رسالة أخرى بعث بها تاجر أندلسي في مدينة فاس إلى أبيه يافث اللافي بن علا في المرية في سنة (535هـ=1140م)[9].

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.319.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.319.

(3) العذري، ترصيع الأخبار، ص82.
سبب انتقال أهل بجانة إلى المرية في هذه السنة، الفتنة التي حدثت فيها بسبب الصراع على ولايتها بين شخصيات بارزة فيها. ينظر العذري: ترصيع الأخبار، ص82-83.

(4) العذري، ترصيع الأخبار، ص ب (مقدمة المحقق).

(5) العذري، ترصيع الأخبار، ص87، 88.

(6) ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، جـ1، تحقيق: إحسان عباس، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1401هـ-1980م)، ص114.

(7) الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، (دار الكتاب العربي، 1967 م)، ص 345، ترجمة رقم: 928.

(8) جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص214.

(9) الكواتي، اليهود في المغرب، ص 252.

وأخرى بعث بها إسحاق بن باروخ المقيم بمدينة المرية إلى أبي سعيد خلفون بن نثنيل بمدينة تلمسان بتاريخ 10-10-1138م[1].

(1) GOITEIN, SOLOMON, DOB FREITZ, LETTERS OF MEDIEVAL, JEWISH TRADERS, (PRINCETON UNIVERSITY, 1900). P.259-263.

المبحث الرابع

مراكز الاستقرار اليهودي غربي الأندلس

تركز يهود غربي الأندلس في مدينتين كبيرتين هما، إشبيلية، وماردة، وفي ما يأتي بيانٌ لاستقرار اليهود فيهما.

أولا ً: إشبيلية (SEVILLE)

تقع "غربي قرطبة، بينهما ثلاثون فرسخا ً "[1]، وهي "قديمة البناء أوَّلية"[2]، "ولها كورٌ جليلة، ومدن كثيرة، وحصون شريفة"[3]، وقد ساعد وقوعها على الوادي الكبير[4]، الذي ربطها بالمحيط الأطلسي على جعلها مركزا ً تجاريا ً مهما ً "[5].

وقد وجد المسلمون اليهودَ في إشبيلية منذ أن فتحوها بقيادة موسى بن نصير سنة (93هـ=712م) "فضمَّ موسى يهودها"[6]، أي جمعهم من مواقعهم المتفرّقة في إشبيلية، وركزهم في قصبة المدينة، وفقا ً للسياسة المتبعة معهم في المدن الأخرى[7].

ومما يدلُّ على وجود اليهود في إشبيلية، ويشير إلى كثرتهم فيها في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (138 - 172هـ=788 - 796 م)، أنهم جسروا على فتح أحد أبوابها ليتمكن جند الأمير من دخول المدينة وقمع الثائرين، "ودخلت الخيل على باب قرمونة، وفتحه لهم اليهود، فوضعوا أيديهم في قتل المولَّدين"[8].

وقد عاش اليهود في إشبيلية خلال مُدَّة الحكم الإسلامي لها في مواقع عديدة، فقد أقاموا في الجانب الغربي من المدينة، في موقع الحي الحالي الذي توجد فيه كنيسة سانتا مجدولينا (SANTA MAGDLENA). وما يزال أحد الشوارع هناك يحمل اسم (CALLE DE CAL) و"CAL"هي التسمية الأسبانية لـ (KAHAL)، وهي كلمة عبرية بمعنى "الطائفة"[9].

كما سكنوا أيضا ً في القسم الشمالي الغربي من المدينة في مكان الحي الحالي الذي توجد فيه كنيسة سان لورينزو (SAN LORENZO)[10].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، م1، ص195.
(2) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص107.
(3) م، ن، ص114.
(4) م. ن، ص109.
(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.300, 305.
(6) مجهول، أخبار مجموعة، ص25.
(7) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، جـ2، ص12، مجهول، أخبار مجموعة، ص23؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص101.
(8) العذري، ترصيع الأخبار، ص102.
(9) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.302; HAIM BEINART, SEVILLE, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.
(10) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.303; M. KEYSERLING, SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.209. ينظر: الخارطة رقم: (8).

وقد عاشت في إشبيلية في ظل الحكم الإسلامي طائفة يهودية كبيرة تضمُّ عددا ً من العائلات المهمة، مثل عائلة تيبون وأبرابانيل وأبو درهم[1]، وابن الباطوم وابن كامنيل وابن المهاجر[2]. ويزعم اليهود بأن بعض عائلاتها تنتسب إلى النبي داود عليه السلام وأنهم جاءوا إليها بعد التدمير الأول للهيكل سنة (70م)[3].

وقد شهد القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ازديادا ً ملحوظا ً على عدد اليهود في إشبيلية، إذ فضل عدد كبير من يهود قرطبة أن يستقروا في إشبيلية بسبب الفتن التي شهدتها قرطبة في أعقاب انتهاء عصر الخلافة في الأندلس، كما لجأ إليها المعارضون من يهود غرناطة لإسماعيل بن يوسف بن نغدله، وكذلك العديد من يهود غرناطة[4]، بعد ثورة المسلمين فيها على ظلم وتسلط اليهود.

كما تدفَّق إليها اليهود من الشمال الأفريقي للاستقرار في ظل التسامح والازدهار الاقتصادي والثقافي الذي شهدته إشبيلية في عهد بني عباد[5].

وقد خصَّ الحبر سعديا بن جوزيف كبير أحبار اليهود في العراق في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي طائفة إشبيلية بالمراسلة، باعتبارها من الطوائف الكبيرة في الأندلس[6].

ومن رؤساء الطائفة اليهودية في إشبيلية عُرِفَ إسحاق بن باروخ البالية، وقد عمل منجما ً لدى المعتمد (461-484هـ=1068-1091م)، وأَلَّف كتابا ً تلموديا ً فلكيا ً، واليه يرجع الفضل في جعل إشبيلية مركزاً للدراسات اليهودية[7]، وهو والد الحبر الإشبيلي باروخ بن إسحاق، وعم المؤرخ الشهير إبراهيم بن داود المولود في إشبيلية[8].

ومن الشخصيات اليهودية الإشبيلية البارزة في مطلع القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، الشعراء مير بن ميغاشي، وأبو الفتح إليعازر بن ناحمان بن أزهر الذي كان كبيرا ً للأحبار في إشبيلية[9] ويهودا بن بلعم مفسّر كتاب العهد القديم[10].

ثانياً: ماردة (MERIDA)

---

(1) مقالة "إشبيلية"، الموسوعة اليهودية، "باللغة العبرية"، ص273.
(2) HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.
(3) مقالة "إشبيلية"، الموسوعة العبرية، م25، ص487؛
HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.
(4) مقالة "إشبيلية"، الموسوعة العبرية، م25، ص487؛
HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.
(5) HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.
(6) الموسوعة العبرية، م25، ص487؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.306;
HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.
(7) BROYDE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.208.
(8) BROYDE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, SEVILLE, VOL.14, P.1201.
(9) BROYDE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA , VOL.14, P.1201;
BROYDE, SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P208.
(10) الموسوعة العبرية، م25، ص487.

تقع ماردة على الضفة الشمالية لوادي يانه (GUADIANA)[1] "بجوفي قرطبة منحرفة إلى الغربِ قليلاً"[2]، ويحدد ياقوت موقعها بقوله: "بين الغرب والجوف من أعمال قرطبة"[3].

وكانت ماردة مستقرا ً لأهم الطوائف اليهودية في الأقاليم الغربية لشبه الجزيرة الأيبيرية. وتمتاز تلك الأقاليم، بقلة عدد اليهود المستقرين فيها مقارنة مع أعدادهم في الجنوب، وفي منطقة وادي إبره. كما أنَّ عدد المسلمين المستقرين في تلك الأقاليم كان قليلا ً، وسبب قلَّة المسلمين واليهود فيها، يرجع إلى أنَّ الجزء الأكبر من المنطقة كان جافا ً، كما أنَّها كانت بعيدة في تلك الأيام عن الطرق التجارية المهمة[4].

وقد أشار كلٌّ من ابن سعيد الأندلسي والنباهي إلى وجود يهودي في ماردة عندما تحدَّثا عن قصة تاجر الرقيق اليهودي الذي احتجز الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن جاريته دون أن يدفع ثمنها لأنَّ اليهودي تشطَّطَ فيه[5].

كما تمَّ العثور فيها على شاهدِ قبرٍ لرجلٍ يهودي يعود إلى بداية الحكم الإسلامي[6].

وفي القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي كان لماردة طائفة يهودية كبيرة، تعدُّ الطائفة اليهودية الرئيسة في غرب الأندلس، وكان لقادة طائفة ماردة، سلطة تشريعية عليا على يهود تلك المنطقة[7].

وكانت أكثر العائلات اليهودية شهرة وأهمية في ماردة، هي عائلة ابن بالية التي تعود بنسبها إلى حائك الستائر باروخ، الذي يقول المؤرخ اليهودي الأندلسي إبراهيم بن داود أنه أحد الأسرى اليهود الذين أرسلهم تيتوس إلى أسبانيا بعد أن دمَّر القدس سنة (70م)[8].

وقد ذكر الجاؤون سعديا يهود ماردة في رسالته الدواره إلى الطوائف اليهودية المهمة في الأندلس، لكنَّ العديد من اليهود قد هجروا ماردة في القرن السادس

الهجري/الثاني عشر الميلادي. إذ يذكرُ مؤرخ يهودي معاصر لتلك الهجرة أنَّ أفراد عائلة ابن بالية قد هجروا ماردة، وتوجهوا إلى قرطبة للاستقرارِ فيها[9].

---

(1) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص119.

(2) م.ن، ص119. اعتاد الأندلسيون أن يطلقوا كلمة "جوف" على الجهة الشمالية.
ينظر: مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، ط1، 1967م)، ص290. (الهامش).

(3) ياقوت، معجم البلدان، م5، ص38-39.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.350.
ما يؤكد جفاف هذه المنطقة قول الإدريسي عن نهر يانه الذي يعد النهر الرئيس في المنطقة الغربية: "وهو نهر كبير، ويسمى النهر الغؤور، لأنه يكون في موضع يحمل السفن، ثم يغور تحت الأرض حتى لا يوجد منه قطره، فسمي الغؤور لذلك"، نزهة المشتاق، م2، ص545. ويؤكد هذا النص أيضا ً على صحة ما يقول آشتور بخصوص بعد ماردة عن الطرق التجارية. إذ إن نهراً تغور مياهه لا يصلح استعماله طريقا ً تجاريا ً بحريا ً.

(5) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، جـ1، ص151-152، ترجمة رقم: 91؛ النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشر: إ. ليفي بروفنسال، (القاهرة، دار الكتاب المصري، 1948م)، ص56-57.

(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.352.

(7) IBID, VOL.1, P.352.

(8) IBID, VOL.1, P.352.
نقلا ًعن: ABRAHAM B.DAUD. THE BOOK OF TRADITION, (PHILADELPHIA, 1967), P.79.

(9) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.352.
نقلا ً عن: IBN EZRA, SEFER SHIRAT YISRAEL, ED.B.Z, HALPER, LEIPZING, 1924.

وعلى الرغم من أنَّ المدينة قد ضعفت، وأنَّ الهجرة كانت واضحة المعالم، إلاَّ أنَّ طائفة ماردة لم تنته، بل ظلَّت موجودة إلى أن طرد الأسبان اليهود من الأندلس قبيل نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي[1].

وكان الحي اليهودي في ماردة قريباً من كنيسة للنصارى بعد الطرد[2]، وفي شمال المدينة كان لليهود مقبرة على (PANICALIENTE MILL) ليس ببعيد عن وادي البرجس (ALBARREGAS).

وقد استمر الحكم الإسلامي لماردة حتى سنة (627=1128م)، إذ احتلها الأسبان بقيادة ألفونسو السابع[3].

---

(1) الموسوعة العبرية، م24، ص427 ؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.353.

(2) الموسوعة العبرية، م24، ص427؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.353.
نقلاً عن: BERNABE MORENO DE VARGAS, HISTORIA DE LA CIUDAD DE MERIDA (MADRID, 1633), P.259, AF.

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص280.

المبحث الخامس

مراكز الاستقرار اليهودي شمالي الأندلس

انتشر كثير من اليهود في المناطق الشمالية من الأندلس، واستقروا في العديد من مدنها الرئيسة، وكان تواجدهم كبيرا ً في بعض هذه المدن.

وأهم مراكز استقرارهم في الشمال هي: سرقسطة، وبرشلونة، وطركونة، وقلعة أيوب، وروطة.

أولا ً: سرقسطة (SARAGOZA)

يقول عنها الإدريسي: "قاعدة من قواعد مدن الأندلس كبيرة القطر، آهلة ممتدة الأطناب، واسعة الشوارع والرحاب، حسنة الديار والمساكن، متصلة الجنان والبساتين، ولها سور مبني من الحجارة حصين، وهي على ضفة النهر الكبير المسمّى "إبره"[(1)]. فتحها المسلمون سنة (95هـ=714م)[(2)]، وسقطت في يد الأسبان سنة (512هـ=1118م)[(3)].

وقد عاشت في هذه المدينة طائفة يهودية كبيرة، وسكن معظم أفرادها في الحي اليهودي الذي يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة، بين سور المدينة في الجنوب وشارع مايور (CALLE MAYOR) في الشمال، وكانت حدوده في الغرب هي شارع جيمي الأول وذلك حسب المصادر الأسبانيـة التي نقل عنها آشتور[(4)]. وحسب المصادر نفسها كان الحي اليهودي في سرقسطة كبيرا ً، بلغت مساحته نحو ربع مساحة المدينة[(5)]، وقد أحيط بسورٍ داخلي مزوَّدٍ بعددٍ من الأبواب. كما بُني في الزاوية الجنوبية من هذا الحي حصن من أجل أن يلجأوا إليه إذا ما تعرَّض الحي للهجوم. وبالقرب من الحصن على الجزء الغربي كان هناك بابٌ في سور المدينة يدعى باب الحي اليهودي، وكان يطلّ على الشارع الذي سُمّي لاحقاً (CALLE HIEDRA)، وقد اختفى بعد التغييرات التي حدثت في المدينة[(6)].

---

(1) نزهة المشتاق، م2، ص554.
(2) المقري، نفح الطيب، م1، ص273؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص91.
(3) ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ2، ص248؛ ياقوت، معجم البلدان، م3، ص213.
(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.334.
نقلا ً عن: TOMAS XIMENEZ DE EMBUN, DESCRIPCION HISTORICA DE LA ANTIGUA ZARAGOZA (SARAGOSSA, 1901), P.61;
ينظر: كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص46 – 47؛ الخارطة رقم: (9)، والخارطة رقم: (10).
(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.336. ينظر: BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL. 11, P.491.
(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.336;
ينظر: كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص46–47.

وقد ذكر ابن الفرضي ذلك الباب عندما تحدَّث عن موقع قبر حنش الصنعاني في سرقسطة حيث قال: "وقبره بها عند باب اليهود بغربي المدينة"[1]، وذكره المقري الذي نقل عن ابن الفرضي فقال: "إنَّ حنشا ً كان بسرقسطة، وأنه الذي أسس جامعها، وبها مات، وقبره بها معروف عند باب اليهود بغربي المدينة"[2].

وإلى الشمال الشرقي من الحصن سالف الذكر كان الكنيس الكبير ليهود سرقسطة، وكان يقع في المكان الذي أقيمت عليه لاحقاً مقبرة للرهبان، وهي ما تزال قائمة إلى الآن. وقد أقيم هذا الكنيس بالقرب من سور المدينة بعيدا ً عن الأحياء الإسلامية كما هي العادة في بقية المدن الإسلامية، حيث تبنى معابد اليهود بعيدا ً عن أحياء المسلمين[3] وكان هناك كنيس يهودي آخر في الطرف الغربي من الحي اليهودي، وهو الكنيس الذي صار لاحقاً كنيسة سان أندرس (SAN ANDRES)[4].

وكان يهود سرقسطة يكسبون رزقهم من مهن مختلفة، إذ عملوا في دباغة الجلود، وصناعة الأحذية، ونسج الأقمشة وامتلكوا الحقول والكروم، وعملوا في التجارة الخارجية وخصوصا ً مع برشلونة وجنوب فرنسا، وكانوا تجارا ً ناجحين[5].

ومن الإشارات الدالة على وجود مبكر لليهودِ في سرقسطة ما يرويه ابن الفرضي عن أحد قضاة سرقسطة محمد بن عجلان من أنه كان "يحلف اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، وقال إني رأيتهم يرهبون ذلك"[6].

وكان أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي من أشهر رجالات اليهود في سرقسطة، إذ عمل وزيرا ً وكاتبا ً في دولة المقتدر بن هود (438-447هـ=1046–1081م)[7]. ومن مشاهير اليهود في سرقسطة أيضا ً "سليمان بن يحيى المعروف بابن جابيرول من سكان سرقسطة، وكان مولعا ً بصناعة المنطق، لطيف الذهن حسن النظر أخفر، وتوفي وقد أربى على الثلاثين، قريبا ً من سنة 450هـ"[8]، ومنجم بن الفوال[9]، "وكان معه بسرقسطة مروان بن جناح من أهل العناية بصناعة المنطق، والتوسع في علمِ لساني العرب واليهود"[10]. ومن مشاهيرهم فيها في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي موشيه بن جيفتيلا، ويهوذا بن حيوج، ومروان بن جناح، وقاضي اليهود في سرقسطة دافيد بن الربي سعديا"[11]. والشاعر أبو الفهم لاوي بن يعقوب بن التبان، وقد أنشأ لاوي مدرسة يهودية في سرقسطة، كان من مشاهيرها إسحاق بن بارون، ويهوذا اللاوي[12].

---

(1) تاريخ علماء الأندلس، ق1، ص127، ترجمة رقم: 391.
(2) المقري، نفح الطيب، م3، ص8.
(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.336.
(4) IBID, VOL.1, P.336.
نقلا ً عن: TOMAS XIMENEZ DE EMBUN, DESCRIPCION HISTORICA DE LA ANTIGUA ZARAGOZA , P.29.
(5) الموسوعة العبرية، م 26، ص384؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.337.
(6) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق1، ص11، ترجمة رقم: 1122.
(7) ابن سعيد الأندلسي، المغرب، جـ2، ص441، ترجمة رقم: 627.
(8) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص89.
(9) م. ن، ص89.
(10) م. ن، ص89.
(11) الموسوعة العبرية، م26، ص384.
(12) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص70-71.

وكانت سرقسطة مسرحا ً للجدل الديني بين اليهود والنصارى في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، حيث اعتنق قسٌّ نصرانيٌّ يدعى بودو اليهودية سنة (225هـ=839م)، وتحمس لها، وتقدم إلى أمير الأندلس عبد الرحمن الثاني بطلبٍ يدعوه فيه إلى فرض الإسلام أو اليهودية على نصارى الأندلس[1].

ومن المفارقات العجيبة أنَّ القس النصراني بايلو الفاروس الذي كان على رأسِ المتصدين لبودو المتهود، يرجع بنسبه إلى جدٍّ كان يهوديا ً ثم تنصر[2].

إن هذه المعلومات وأمثالها لم تسجلها المصادر الإسلامية لأنها لا تعد في نظر مؤلفيها المسلمين أمور مهمة، بينما نجد المؤلفين اليهود يذكرونها لأنها من خصوصياتهم، ولذلك كان لابد من استقصاء ما في مصادرهم.

ثانيا: برشلونة (BARCELONA)

يصفها الحميري فيقول: "مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلا ً وبرشلونة على البحر، ومرساها ترش لا تدخله المراكب إلاَّ عن معرفة، ولها ربض، وعليها سور منيع، والدخول إليها والخروج عنها إلى الأندلس على باب الجبل المسمى بهيكل الزهرة، ويسكن برشلونة ملك إفرنجة، وهي دار ملكهم. وله مراكب تسافر وتغزو، وللإفرنج شوكة لا تطاق"[3].

وقد فتحها المسلمون بقيادة موسى بن نصير سنة (95هـ=714 م)[4]. واستمر الحكم الإسلامي لها حتى سنة (185هـ=801م)، حيث احتلها النصارى بقيادة لويس التقي ملك جنوب الغال[5].

وقد عاشت في برشلونة خلال هذه المدَّة، طائفة يهودية مهمة، يستنتج ذلك من خلال الرسائل المتبادلة في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بين يهود برشلونة وأحبار اليهود في العراق. ومع أنَّ هذه المراسلات قد حدثت بعد خروج برشلونة من يدِ المسلمين، إلاّ أنها تشير إلى وجودِ اليهودِ فيها قبل سقوطها بيدِ النصارى، لأنه من غير المعقول أن يكون النصارى قد احتلوا المدينة ثم أحضروا هذا العدد الكبير من اليهود الذي دفع أحباره في العراق للاهتمام بمراسلتهم، والرد على تساؤلاتهم[6]، والذي جعل البكري وبنيامين التطيلي والحميري يتحدثون عن كثرتهم فيها، حيث يقول البكري (ت: 487هـ=1094م) عنها: "مُسورة على ساحل البحر. واليهود بها يعدلون النصارى كثرة."[7]. كما يذكر يهود برشلونة، وهو يروي قصة حاكمها رايمند بن بلنقير بن بُرِّيل الذي "خرج يريد بيت المقدس سنة ست وأربعين وأربع مئة، فنزل في مدينة نربونة على رجلٍ من كبراء أهلها، فتعشَّق امرأته، وتعشقته، ثم تمادى

---

[1] الموسوعة العبرية، م26، ص383؛
ASHTOR, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VO.15, P.222.

[2] الموسوعة العبرية، م26، ص384.
HAIM BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.963.

[3] الروض المعطار، ص86-87.

[4] ابن خلدون، العبر، جـ4، ص255؛ المقري، نفح الطيب، م1، ص233.

[5] المقري، نفح الطيب، م1، ص339؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.338;

[6] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.338-339.

[7] البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس وأوربا"، ص96.

في سفره حتى وصل بيت المقدس، ثم كر راجعاً حتى أتى نربونة فنزل على ضيفه بها وليس له همٌّ إلا امرأته، فحكم ذلك التعاشق بينهما، واتفق معها على أن تعمل الحيلة في الهروب إليه من بلدها فيزوجها من نفسه فلما وصل إلى برشلونة أرسل إليها قوماً من اليهود في ذلك ..."[1].

ويقول بنيامين التطيلي الذي زارها سنة (569هـ=1173م)[2]: "وفيها طائفة من اليهود وجماعة من العلماء والحكماء والرؤساء الكبار، منهم الربيون ششت، وشئالتيال وسليمان بن إبراهيم بن حسداي، والمدينة على صغرها جميلة"[3].

ويقول الحميري: "وبرشلونة كثيرة الحنطة والعسل. واليهود بها يعدلون النصارى كثرة"[4].

وكانت برشلونة مدينة صغيرة سداسية الشكل بصورة عامة[5] "عليها سورٌ منيع"[6]، بناه الرومان، وما تزال آثاره باقية إلى اليوم. ولكن من الممكن القول بأنَّ برشلونة القديمة هي فقط المنطقة المحيطة بساحة سان جيمي (SAN JAIME)، وهي ما تزالُ ذات شوارع ضيّقة ومظلمة، وقصورٌ محصَّنة ذات ساحات صغيرة. ومن ساحة سان جيمي يجري في الاتجاه الجنوبي الشرقي للمدينة شارع (DEL CALL)، أي شارع الطائفة، وكان هذا الشارع في أواخر القرون الوسطى هو الشارع الرئيس للحي اليهودي، ولهذا أطلق عليه اسم (CAL MAYOR) [7].

وكانت المقبرة اليهودية تقع في جنوب المدينة، على منحدرات الجبل الذي ما يزال إلى الآن يُدعى جبل اليهود[8]. وهناك العديد من شواهد القبور التي تحملُ كتابات من أواخر القرون الوسطى، وقد أزيلت الشواهد الأخرى من الجبل بعد طرد اليهود من المدينة، وتمَّ استخدام الحجارة في بناءِ بناياتٍ جديدة. ومن بين شواهد القبور التي تمَّ العثور عليها في برشلونة، شاهد عليه نقوش وكتابات تعود وفقا ً لرأي الخبراء إلى القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي. ويؤكّد هذا الاكتشاف أنَّ الطائفة اليهودية قد تواجدت في برشلونة خلال الحكم الإسلامي لها[9].

ثالثا ً: طركونة (TARRAGONA)

---

[1] م. ن، ص97.
[2] بنيامين التطيلي، بن يونه النباري الأندلسي، رحلة بنيامين، ترجمة: عزرا حداد، (بغداد، ط1، 1364هـ–1945م)، ص22.
[3] م. ن، ص50.
[4] الروض المعطار، ص87.
[5] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.339.
[6] الحميري، الروض المعطار، ص87. قارن: البكري، المسالك والممالك "الجزء الخاص بالأندلس وأوربا"، ص96.
[7] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.339. نقلا ً عن: C. CORNET Y MAS, GUIA DE BARCELONA, (BARCELONA, 1882), P.198.
[8] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.340. نقلا ً عن: C. CORNET Y MAS, GUIA DE BARCELONA, (BARCELONA, 1882), P.198.
[9] IBID, VOL.1, P.340.

يصفها الحميري فيقول: "بالأندلس، بينها وبين لاردة خمسون ميلا ً. وطركونة مدينة أزلية، قاعدة من قواعد العمالقة ... وهي مبنية على ساحل البحر الشامي، ومعالمها باقية لم تتغير، وأكثر سورها باق لم يتهدم، وهي أكثر البلاد رخاما ً محكما ً، وسورها من رخام أسود وأبيض، وقليلاً ما يوجد مثله[1].

أتم المسلمون فتحها سنة (95هـ=714م)[2]، وفي سنة (193هـ=808م)، سقطت في يد لويس التقي، ولكن سرعان ما أجبره المسلمون على إخلائها، فعادت إلى حكم المسلمين.

وظل المسلمون والنصارى يتبادلون السيطرة عليها، لأنها كانت مدينة حدودية، ففي سنة (340هـ=950م) سقطت في يد النصارى، وبعد سنوات عدة استعادها المسلمون، وبعد بضع سنوات سقطت نهائيا ً في أيدي النصارى الأسبان[3].

"وكانت حاجزا ً بين المسلمين والأفرنج إلى أن استولى الأفرنج عليها، فهي في أيديهم إلى الآن في ما أحسب، وكانت قد استولى عليها الخراب، فاستجدها عبد الرحمن الناصري الأموي"[4]، "وكانت في قديم الزمان خالية، لأنها كانت في ما بين حد المسلمين والروم"[5].

وتدل النقوش اليهودية التي وجدت في طركونة ومحيطها على وجود طائفة يهودية كبيرة تعيش في تلك المنطقة منذ العهد الروماني[6].

ويذكر الإدريسي يهود طركونة في نصين يقول في أحدهما:

"ومدينة طركونة على البحر، وهي مدينة اليهود، ولها سور رخام وبها أبنية حصينة، وأبراجٌ منيعة، ويسكنها قوم قلائل من الروم، وهي حصينة منيعة، ومنها إلى برشلونة في الشرق ستون ميلا ً [7]. ويقول في الآخر: "ومن مدينة طرطوشة إلى مدينة طركونة اليهود خمسة وأربعون ميلا ً "[8].

وبالرغم من أنَّ الإدريسي قد كتب هذين النصَّين في العقد الثالث أو الرابع من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[9]، أي أثناء الحكم النصراني لطركونة، التي سقطت نهائيا ً قريبا ً من منتصف القرن الرابع الهجري إلاَّ أنَّهما يقدمان - في رأيي – وصفا ً للمدينة إبَّان الحكم الإسلامي لها. لأنَّ الإدريسي لم يكن يسجّل لنا مشاهداته وهو يكتب عن المدينة، إذ كانت محتلَّة ولا يستطيع زيارتها في عصره الذي كثرت فيه الحروب بين مسلمي الأندلس وأسبانيا

---

(1) الحميري، الروض المعطار، ص392.

(2) مجهول، وصف الأندلس، "نشر نصوصا ً منه حسين مؤنس في تاريخ الجغرافية والجغرافيين"، (مدريد، ط1، 1967م)، ص598.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.340;
الموسوعة العبرية، م26، ص381.
لم أجد في ما اطلعت عليه من مصادر إسلامية تاريخا ً محددا ً لسقوطها النهائي في أيدي الأسبان.

(4) ياقوت، معجم البلدان، م4، ص37-38.

(5) الحميري، الروض المعطار، ص392.

(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.340.

(7) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص555.

(8) م.ن، م2، ص734.

(9) فرغ الإدريسي من تأليف كتابه سنة (548هـ=1154م)، بعد أن أمضى في كتابته خمسة عشر عاما ً. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، م1، ص ب. (مقدمة الناشر).

النصرانية. بل نقل إلينا وصف هذه المدينة عن جغرافيين مسلمين شاهدوها. وأرى أنه قد نقل عنهم وصف طركونة بـ "مدينة اليهود"و"طركونة اليهود".

ويقول عزرا حدَّاد: "وكان يقال لطركونة أيام حكم العرب "مدينة اليهود "لكثرتهم فيها"[1] ومما لاشك فيه أنَّ هذين التعبيرين يعبران عن كثرة اليهودِ في طركونة.

والسبب في هذا التفوق العددي لليهود في طركونة، يرجع إلى أنَّ عدد المسلمين الذين استقروا في هذه المدينة منذ فتحها كان قليلا ً، لأنها كانت مدينة حدودية متنازعٌ عليها باستمرار كما أنَّ أعداد النصارى هناك قد تناقصت إلى درجة كبيرة، إذ قتل العديد منهم أثناء فتح المدينة، وهجرها الكثيرون"[2]. وقد أشار الإدريسي إلى قلة النصارى فيها بقوله: "ويسكنها قومٌ قلائل من الروم"[3]. ويمكن أن يكون سبب زيادة سكانها اليهود أنَّ الكثير من يهود برشلونة قد لجأوا إلى طركونة بعد سقوط برشلونة في يدِ النصارى سنة (185هـ=801م)، وذلك خوفا ً من انتقام النصارى الذين يتَّهمونهم بمساعدة المسلمين في فتح برشلونة، كما يقول آشتور[4].

ولعل حصانة أسوار طركونة كانت أحد أسباب كثرة اليهود فيها. إذ من الملاحظ أنهم يكثرون في المدن المحصنة تحصينا ً محكما ً. فعن تحصينات طركونة يقول الإدريسي: "وطركونة مدينة على نحر البحر، لها سورٌ من رخامٍ أسود وأبيض، قليلا ً ما يوجد مثله صفة"[5]. ويقول بنيامين التطيلي: "وبلغت بعد مسيرة يومين مدينة طركونة القديمة ذات الأوابد الجسيمة من بناء الجبابرة وأسلاف الإغريق، مما لا نظير له في جميع بلاد الأسبان، وموقعها على شاطئ البحر"[6].

وعن أليسانة التي سميت أيضا ً "بمدينة اليهود"[7] يقول الإدريسي: "والمدينة مدينة متحصنة بسورٍ حصين، ويطوفُ بها من كل ناحية حفيرٌ عميق القعر والسروب، وفائض مياهها قد ملأ ذلك الحفير. واليهود يسكنون بجوفي المدينة ... ولليهودِ بها حذرٌ وتحصن ممن قصدهم"[8]. ويقول عن سورها صاحب الحلل الموشية: "مدينة أليسانة، وهي مدينة منيعة سورها من أعظم الأسوار، انفرد بسكناها اليهود"[9]. وعن برشلونة التي كان "اليهود بها يعدلون النصارى كثرة"[10] يقول الحميري: "وعليها سورٌ منيع"[11].

---

[1] بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص49 (هامش المترجم).
[2] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.341.
[3] نزهة المشتاق، م2، ص555.
[4] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.341.
[5] نزهة المشتاق، م2، ص734. ص126.
[6] بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص49.
[7] نزهة المشتاق، م2، ص571.
[8] م. ن، م2، ص571–572.
[9] ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص80.
[10] الحميري، الروض المعطار، ص87.
[11] م. ن، ص87.

وسبب حرص اليهود على السكن في مدن وأحياء محصنة، هو في رأيي جبنهم وحرصهم الشديد على الحياة، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الطبع القديم فيهم بقوله: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاة..﴾ [1]، وبقوله تعالى: ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ...﴾[2].

وكان اليهود في طركونة يقطنون في معظم شوارع المدينة العليا التي كانت محاطة بسورٍ شمال شرق المنطقة المشيَّدة حاليا ً، وبمرور الوقت صارت هذه المنطقة مستقرّا ً لليهود، وكانت أكثر ازدحاما ً في الحافة الجنوبية للمدينة[3].

ولم أجد في ما اطلعت عليه من مصادر عربية وأجنبية إسهاما ً في النهضة الأدبية والعلمية ليهود طركونة. كما لم أعثر لهم على عالمٍ أو مفكر أو أديب برز خلال الحكم الإسلامي للمدينة[4].

(1) سورة البقرة، من الآية 96.
(2) سورة الحشر، من الآية 14.
(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.341.
(4) IBID, VOL.1, P.341.
نقلاً عن: B. HERNANDEZ, SANAHUJA, TARRAGONA BAJO EL PODER ED LOS ARABES (TARRAGONA, 1882), P. 17.

وفي اعتقادي أنَّ السبب يرجعُ إلى أنَّ طركونة لم تشهد حركة علمية نشطة للمسلمين، كغيرها من المدن الأندلسية، وقد انعكس ذلك على يهود المدينة الذين كانوا يتأثرون بالحركة العلمية التي تسود في المدن التي يعيشون فيها.

رابعا ً: طرطوشة (TORTOSA)

يصفها الإدريسي فيقول: "مدينة حسنة على نهر إبره، وبينها وبين البحر الشامي عشرون ميلا ً، ولها قلعة حصينة، وينبت بجبالها من خشب الصنوبر ما ليس بمعمور الأرض مثله"[1]، فتحت سنة (95هـ=713م)[2]، وسقطت في يد الأسبان سنة (543هـ=1148م)[3]، وقد عاش اليهود في هذه المدينة خلال الحكم الإسلامي[4].

وكان الحي اليهودي في العهد الإسلامي يقع في الجزء الشمالي من المدينة، شمال غرب حي ريمولينز (REMOLINS). وما يزال أحد شوارع الحي اليهودي في طرطوشة يحمل اسم مدينة القدس، إذ يسمى (JERUSALIM)، وهناك أحد الممرات في هذا الحي يحمل هذا الاسم أيضاً[5].

وكانت المقبرة اليهودية تقع شرقي سور المدينة، ولم يسلم منها إلاَّ القليل من شواهد القبور[6]. وقد قدِّر عدد سكان المدينة من اليهود في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بنحو ثلاثين عائلة[7].

واشتغل يهود طرطوشة بالزراعة والتجارة البحرية المزدهرة، حيث أقاموا علاقاتٍ تجارية مع يهود برشلونة، وجنوب فرنسا[8].

وكانت المدينة مركزاً للتعليم اليهودي، كما هو ظاهر في ردودِ الأحبار في القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين، والتي تدل على مستوى عالٍ من المعرفة التلمودية، وعلى حرصٍ شديد من يهودِ هذه المدينة على التقيد بالتعاليم الدينية اليهودية[9].

وكان الشاعر والنحوي واللغوي مناحيم بن يعقوب بن ساروق من يهود طرطوشة، وقد عاد إليها من قرطبة، بعد أن خسر حظوته لدى حسداي بن شبروط[10].

وثمة يهودي آخر من طرطوشة هو الطبيب والجغرافي إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي[11]، وهو من معاصري مناحيم بن ساروق. وقد كلَّفه الخليفة الأندلسي الحكم الثاني (المستنصر بالله) برحلة جغرافية إلى أوربا

---

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص734.
(2) لم أجد في مصادرنا ذكر لتاريخ فتح مدينة طرطوشة، ولكنني أعتقد أن فتحها كان سنة (95هـ=713م)، باعتبار أنها إحدى مدن الثغر الأعلى، الذي فتح في هذا التاريخ، ينظر الحجي، التاريخ الأندلسي، ص91-92.
(3) ياقوت، معجم البلدان، م4، ص30.
(4) ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL. 15, P.1268; الموسوعة العبرية، م26، ص381.
(5) ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.343. ينظر: الخارطة رقم: (11).
(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.343.
(7) ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.343.
(8) ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268.
(9) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.344.
(10) IBID, VOL.1, P.344.
(11) ينظر: البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص80.

الوسطى والشرقية لجمع المعلومات عن تلك البلاد[1]. وقد أدَّى هذه المهمة بنجاح وعاد بمعلوماتٍ قيمة، اعتمد عليها البكري وغيره عندما كتبوا عن تلك البلاد وسكانها[2]. كما عاش في هذه المدينة في مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي الشاعر العبري ليفي بن إسحاق بن مارشاؤول[3].

خامساً: قلعة أيوب (CALATAYUD)

"وقلعة أيوب محدثة"[4] بناها المسلمون إلى الغرب من المدينة الأسبانية المهمة بلبلس (BILBILIS) [5]، وإلى الجنوب الشرقي من سرقسطة[6]، وهي تسمى الآن في أسبانيا (CALATAYUD) [7].

وقد استقرت طائفة يهودية في هذه المدينة في عصر الإمارة، وصارت بمرور الوقت من الطوائف اليهودية المهمة في الأندلس[8].

وفي سنة (1300هـ=1882م) تمَّ العثور بالقرب من هذه المدينة على نصب ليهودي يُدعى صاموئيل بن سولومون، مات في (10/9/سنة 991 م)[9].

وقد سقطت قلعة أيوب في يدِ النصارى سنة (504هـ=1110م)[10] لكنَّ اليهود ظلَّوا تحت الحكم الأسباني يقطنون في المنطقةِ نفسها التي كانوا يقيمون فيها في عصر الخلافة[11].

وتقع هذه المنطقة في الجزء الشمالي من المدينة الذي هو أعلى مناطقها. وكان اليهود يعيشون في الشوارع الواقعة في الجهة الشمالية الغربية من المسجد الرئيس، الذي أقيمت مكانه كنيسة سانتا ماريا دي مريافيلا (SANTA MARIA DE MEDIA VILLA) [12].

ويدلُّ العدد الكبير لليهود الذين غادروا المدينة، ويحملون اسم القلعي على كثرة أعداد اليهود الذين كانوا يقيمون فيها أثناء الحكم الإسلامي، وعلى وجود العديد من المثقفين والأثرياء بينهم[13].

سادساً: روطة (RUEDE)

---

(1) لقد رجحت ذلك عندما ناقشت هذه المسألة في الفصل الثالث من هذا البحث.
(2) ينظر: م. ن، ص80، 155، 174؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص7-8.
(3) ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPIDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268.
(4) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص91.
(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.328.
(6) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص91 (هامش المحقق).
(7) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.328.
(8) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.330.
(9) IBID, VOL.1, P.330.
(10) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ4، ص55.
(11) IBID, VOL1, P.330.
(12) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.330.
ينظر: الخارطة رقم: (12).
(13) IBID, VOL1, P.330.

تحدثت بعض المصادر الإسلامية عن حصن روطة (RUEDE) القريب من سرقسطة، ودعته "روطة اليهود"[1]. ويبيّن نص العذري استقرار اليهود في روطة منذ وقتٍ مبكر، حيث يقول: "وفي آخر السنة [260هـ=873م] خرج هاشم بن عبد العزيز [قائد جيش الأمير المنذر بن محمد] إلى الثغر [سرقسطة]، وصار فيه، وقد دخلت سنة إحدى وستين، فابتاع محمد بن لب سرقسطة بخمسة عشر ألفا ً ... على يدي حوشب بن القاضي، وابتاع روطة اليهود من عبد الواحد الروطي"[2] ويقول أيضا ً: "قال عيسى بن أحمد بن محمد الرازي: ورأيت في تواريخ الثغر أن محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز التجيبي دخل سرقسطة يوم الأربعاء بعد الظهر لثماني عشرة خلت من شهر رمضان سنة ست وسبعين ومائتين ... ودخل روطة اليهود يوم الأحد لعشر خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وثلاث مئة"[3]. ويظهر النص الأول أنَّ اليهود لم يكونوا مستقلين بروطة. إذ عملت الحكومة الأموية على استعادتها إلى الدولة من يد عبد الواحد الروطي، فدفعت له مبلغا ً مقابل التخلّي عنها، وليس هناك سبب في رأيي يدعو إلى تسميتها بروطة اليهود إلاَّ كثرتهم فيها. ويقدم ابن الكردبوس وصفا ً مفيدا ً لروطة فيقول: "وهو معقل على مقربة من سرقسطة، مساوٍ لأعناق السماء، وفي غايةٍ من المنعةِ والارتقاء"[4]، وهو يعقّبُ على قول أحمد بن المستعين بن هود بالتنازل عن هذا الحصن للأسبان مقابل أرضٍ في قشتالة[5] بقوله: "وتخلَّى له عن معقلٍ ما أبصر مثله من يعقل"[6]. وقد سقطت روطة في يد ألفونسو المحارب سنة (512هـ=1118م)[7].

والظاهر أنَّ حصون روطة المنيعة هي التي جلبت إليها اليهود بكثرة. وهذا يضاف إلى الأمثلة التي ذكرناها آنفا ً، والتي تؤكّد ميل اليهود إلى الاستقرارِ في المدن والمناطق المحصَّنة.

ولم يقتصر الوجود اليهودي في الأندلس على المدن التي ذكرناها آنفا ً، بل تواجدوا في مناطق أخرى. لكننا لا نملك عن استقرارهم فيها إلاَّ القليل من المعلومات، وهي تشير بالرغم من قلَّتها إلى كثرة اليهود في بعض تلك المناطق.

ويقدم ابن خلدون رواية تشير إلى وجود العديد من اليهود في قرمونة التي تقع إلى الـ"شرقٍ من إشبيلية وغربٍ من قرطبة"[8]، يذكر فيها أنَّه في الحرب بين المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس ومحمد البرزالي الوالي على قرمونة، تغلَّب إسماعيل بن المظفر بن الأفطس على البرزالي، ودخل قرمونة وقتله، وقتل معه خلقا ً من اليهود، وذلك سنة 459هـ[9].

---

[1] العذري، ترصيع الأخبار، ص35، 42، 159؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ2، 246.
[2] العذري، ترصيع الأخبار، ص35.
[3] م. ن، ص42.
[4] ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار العبادي، (مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، 1971م)، ص119. نشر تحت عنوان: "تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط".
[5] م. ن، ص120.
[6] م. ن، ص120.
[7] م. ن، ص121.
[8] ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص138.
[9] ابن خلدون، العبر، جـ4، ص156-157.

ويتحدَّث الإدريسي عن حصون قرمونة فيقول: "وهي مدينة كبيرة يضاهي سورها سور إشبيلية وهي حصينة وعلى رأس جبلٍ حصين منيع"[1]. وهذا يضاف إلى ما لاحظناه من ميل يهود الأندلس للاستقرار في الأماكن المحصنة.

ويروي كلٌّ من السلفي، وابن أبي أصيبعة ما يدل على تواجد يـهودي في دانية، وعلى أنَّهم تقلَّدوا فيها بعض وظائف الدولة وذلك في عصر الطوائف. حيث يقول السلفي: "... أنشدني أبو حفص العروضي الزكرمي بأفريقية مما قاله بالأندلس، وقد طولب بمكس كان يتولاه يهودي:

يا أهل دانيةٍ لقد خالفتمُ   حكم الشريعة والمروَّةِ فينا

مالي أراكم تأمرون بضد ما   أمرت به، تُرى نسخ الإله الدينا

كنا نطالب لليهودِ بجزية   وأرى اليهود بجزيةٍ طلبونا[2]

ويقول ابن أبي أصيبعة متحدثا ً عن إسحاق بن قسطار: "كان يهوديا ً، وخدم الموفق مجاهدا ً العامري، وابنه إقبال الدولةِ عليًّا ً، وكان إسحاق بصيرا ً بأصول الطب ... حبرا ً من أحبارهم"[3]. وكان مجاهد أحد أمراء الطوائف حيث "غلب على دانية"[4].

كما استقرَّ عدد كبيرٌ من اليهود في بيانة القريبة من قرطبة[5]. يفهم ذلك من رواية لابن سعيد يذكر فيها أنـها "مدينة اليهود"، وأنـها كانت المدينة التي نُفي إليها ابن رشد. حيث يقول: إنَّ منصور بن عبد المؤمن "أمر بنفيه إلى بيانة مدينة اليهود"[6]، وقد نفي عقابا ً له "على قوله عن الزرافة: وقد رأيتها عند ملك البربر، فقرَّعه على ذلك، فاعتذر أنه ما قال إلاَّ: ملك البرَّيْن"[7] لكن عذره لم يُقبل[8].

وقد أشرنا من قبل إلى رواية ابن عبد الملك المراكشي التي يبين فيها أنَّ نفي ابن رشد كان إلى أليسانة، وأنَّ هناك سببا ً آخر للنفي غير الذي ذكره ابن سعيد الأندلسي. وليس من شأننا الخوض في تفاصيل روايتي ابن سعيد وابن عبد الملك، والتحقيق في أسباب النفي وفي المدينة التي تمَّ إليها. وما يهمنا هنا هو أنَّ ابن سعيد يسمّي بيانة "مدينة اليهود". مما دفعنا إلى القول بأنـها كانت مستقرًّا ً لعدد كبيرٍ منهم. وكانت بيانة مدينة محصَّنة، كغيرها من المدن الأندلسية التي أطلق عليها "مدينة اليهود".

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص572.

[2] السلفي، أحمد بن محمد بن سلف، أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ط1، 1963)، ص37-38.

[3] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص498.

[4] الضبي، بغية الملتمس، ص473.

[5] عن قربها من قرطبة، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص537؛ الحميري، الروض المعطار، ص119.

[6] ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ2، ص105. ترجمة رقم 39.

[7] م. ن، جـ1، ص105، ترجمة رقم: 39.

[8] م. ن، جـ1، ص105، ترجمة رقم: 39.
لقد أشرنا من قبل إلى رواية ابن عبد الملك المراكشي التي يتبين فيها أن نفي ابن رشد كان إلى أليسانة، وأرى أن نفيه كان إلى أليسانة وليس إلى بيانة، لأن الهدف من نفيه كان المبالغة في إهانته، وتأكيد الاتهام الذي أشاعه عنه أعداؤه أنه من أصول يهودية. وسوف يتحقق لأعدائه ذلك لو أن النفي كان إلى أليسانة التي ينفرد بسكناها اليهود، والمرتبطة في أذهان الأندلسيين باليهود أكثر من بيانة.

حيث يصفها الإدريسي بقوله: "وبيانة حصن كبير، في أعلى كدية تراب، قد حفت بها أشجار الزيتون الكثيرة، ولها مزارع الحنطة والشعير، ومن حصن بيانة إلى قَبْرَه مرحلة خفيفة"[1]. ويصفها الحميري فيقول: "ولها حصن منيع"[2]

وكان لليهود وجود في مرسية، حيث يقول المقَّري: "وكان محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطي المرسي من أعرف أهل الأندلس بالعلوم القديمة: المنطق والهندسة والعدد والموسيقى، والطب، فيلسوفا ً طبيبا ً ماهرا ً، آية الله في المعرفة بالأندلس، يقرئ الأمم بألسنتهم فنونهم التي يرغبون فيها، وفي تعلّمها، ولما تغلَّب طاغية الروم على مرسية عرف له حقَّه، فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود"[3].

كما مكثوا أيضا ً في بلنسية. يظهر ذلك من رواية لابن عذاري، يتحدث فيها عن سقوط بلنسية بيد الكبيطور، وارتكابه الفظائع في أهلها، وقتل عدد كبير منهم[4]، فيقول: "ثم قال: انظروا إليَّ في سبع مئة ألف مثقال وإلاَّ هلكتم، وأحلّت السيوف عليكم، ثم خرج وبقي المسلمون في القصر، وأغلق عليهم الباب، فصاروا في سجن، والروم تحفُّهم بالأسلحة، فرأوا الموت، ووقع البهت، وخرست الألسنة، ثم رجع اليهودي وزيره إليهم، وقال لهم: لم أزل ألاطفه حتى قاطعته عليكم بمئتي ألف مثقال، فبادروا بتوزيعها، وافدوا أنفسكم منه، فتوزَّع العدد على الأحوال، واشتدَّ ثقاف الأغنياء. وبلغ اليهودي – لعنه الله – من المسلمين مبلغ الغاية في العذاب، وسُلّط اليهود على الإسلام، فبلغوا النهاية في النكال والنكاية، ومنهم الأمناء الموكلون، والمنصرفون، وأصحاب الرسوم، وخدام البر والبحر. وجلس اليهودي للقبض بصاحب المدينة من الضربِ بالعصا والسوط، وقيض لكل منهم شيطانا ً يخرج معه كل عدد، فإن جاء بشيئ، وإلاَّ أخذ بالسوط والعذاب، وتمادت هذه المحنة مدة، فلا قوة إلاَّ بالله العليّ العظيم"[5].

ولدينا إشارة أخرى تؤكد استقرار اليهود في بلنسية. فقد ترجم ابن سعيد الأندلسي للشاعر أبي الحسن علي بن إبراهيم، المشهور بابن الزقاق[6]، وذكره مع كتاب مملكة بلنسية[7]، وذكر له بيتين من الشعر كتبهما في غلام يهودي[8]، كان يجلس معه وينادمه يوم سبت. والظاهر أن هذا الغلام من بلنسية أيضا ً.

كما استقروا في بياسة، التي تقع شمال شرق جيان، وتبعد عنها عشرين ميلا ً[9]، يستنتج ذلك من قول ابن صاحب الصلاة: "في سنة 553هـ كان في بياسة عالم غرناطي يدعى عبد الله بن سهل، كان يحضر دروسه جمعٌ كبير من المسلمين والنصارى واليهود"[10].

---

(1) نزهة المشتاق، م2، ص571.
(2) الروض المعطار، ص119.
(3) نفح الطيب، م4، ص130.
(4) البيان المغرب، جـ4، ص39-40.
(5) م.ن، جـ4، ص41.
(6) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ2، ص323، ترجمة رقم: 567.
(7) م. ن، جـ2، ص297، ترجمة رقم: 548.
(8) م. ن، جـ2، ص328، ترجمة رقم: 567؛ المقري، نفح الطيب، م4، ص19.
(9) حدد هذه المسافة بين المدينتين الإدريسي. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص568.
(10) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك، المن بالإمامة، تحقيق: عبد الهادي التازي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987م)، ص400.

وهناك إشارات إلى شاعرٍ وطبيب يهودي ينتسب إلى رنده[1]، مما يدل على أنهم سكنوا هذه المدينة. يقول المقري: "وكان في زمن إلياس بن المدوَّر اليهودي الطبيب الرندي طبيب آخر، كان يجري بينهما من المحاسدةِ ما يجري بين مشتركين في صنعة"[2]. وقد ظل اليهود يعيشون في رندة حتى سقوطها في يد النصارى. إذ كان المترجم الوسيط بين المسلمين والأسبان في اتفاقية تسليم رندة سنة (890هـ–1485م) هو اليهودي عذرا الرندي[3].

ويقدم المقَّري رواية يظهر فيها بسام بن شمعون اليهودي الوشقي، وهو يتلقى رسالة من صديق له يدعى أيوب بن سليمان المرواني[4]، مما يدل على استقرار يهودي في وشقة القريبة من سرقسطة. "ومن مدينة سرقسطة إلى وشقة أربعون ميلاً"[5].

كما استقرَّوا في شوذر ومرتش. يفهم ذلك من رسالة شعرية بعث بها الشاعر الأندلسي إبراهيم بن محمد النفزي، يستحث فيها أمير المسلمين في المغرب على العبور إلى الأندلس لتخليص المسلمين في هاتين المدينتين من حكم النصارى، وتسلط اليهود. حيث يقول:

وشوذرُ ثمَّ مرتش لو تراها ونـار الكفر يضرمها اليهودُ[6]

وكان عددهم كبيراً في مدينة برغش الواقعة شمالي الأندلس[7]، وقد أشار الإدريسي إلى كثرتهم في هذه المنطقة المحصَّنة بقوله: "ومدينة برغش مدينة كبيرة

---

[1] ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ1، ص336. ترجمة رقم: 241؛ المقري، نفح الطيب، م3، ص528.
[2] نفح الطيب، م3، ص528.
[3] فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص99-100.
[4] نفح الطيب، م3، ص529.
[5] الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص554.
[6] الحسين، يعقوبي، قصائد غير منشورة في الاستصراخ والإصراخ، دراسات أندلسية، ع5، (1411هـ–1990م)، ص80.
[7] الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص725، 732.

يفصلها نهر، ولكل جزء منها سور، والأغلب على الجزء الواحدِ منها اليهود. وهي حصينة منيعة ذات أسوار وتجار وعدد وأموال"[1]. أي أنها مقسمة إلى أجزاء يتواجد اليهود بكثرة في كل جزء منها.

وكان لليهود وجود في جرندة التي تسمى الآن جيرونه (GERONA) [2]. وقد ذكرها بنيامين التطيلي في رحلته، حيث زارها في سنة (561هـ=1165 م). وقال إن "فيها طائفة صغيرة من اليهود"[3].

وبالرغم من أنَّ بنيامين التطيلي يتحدَّث عن جرنده بعد مُضي أكثر من ثلاثة قرون ونصف على سقوطها في يدِ النصارى الذين احتلوها سنة (184هـ=800 م)، إلاَّ أنَّ اليهود في هذه المدينة قد عاصروا – في رأيي – الحكم الإسلامي لها. لأنَّ وجودهم فيها يرجع إلى القرن الخامس الميلادي، حيث "أقام اليهود في جرندة منذ القرن الخامس الميلادي في حي "خاص" بهم كان يدعى (CALLE DE CALLE JUDAIC) بجوار القلعة"[4]، ومن غير المعقول أن يكونوا قد خرجوا منها عندما فتحها المسلمون، ثم رجعوا إليها بعد عودة النصارى، لأنَّ يهود الأندلس عموماً كانوا ينتظرون من يخلِّصهم من ظلم القوط النصارى[5]، ولذلك وجدناهم يسهمون مع المسلمين في حراسة بعض المدن بعد أن تمَّ فتحها[6]. وما ينطبق على يهودِ جرندة ينطبق على اليهود في معظم المدن الأندلسية التي وصفها لنا الرحالة والمؤرخون بعد سقوطها في أيدي الأسبان النصارى.

---

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص732.

(2) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص51. يسّمي بنيامين هذه المدينة جرندة، مثلما كانت تدعى في العهد الروماني. لكن اسمها الآن جيرونة. ينظر: بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص51 (المتن والهامش).
ويتفق الإدريسي مع بنيامين فيسميها جرندة. نزهة المشتاق، م2، ص583، 735. وقد فضلت أن أسجلها مثلما سجلها الإدريسي "جرندة" لأن الترجمة من العبرية إلى العربية هي التي تسببت في اختلاف رسم الكلمة عند بنيامين عما لدى الإدريسي. كما أن هذه التسمية هي الشائعة في الوقت الذي نتحدث عنه بخصوص استقرار اليهود فيها.

(3) م. ن، ص51.

(4) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص51 (هامش المترجم).

(5) ينظر: الفصل الأول من هذا البحث.

(6) ينظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص21-22؛ لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ص16؛ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، م1، ص107.

ويتحدَّث عزرا حداد في هامشه على رحلة بنيامين عن يهود هذه المدينة تحت الحكم الأسباني فيقول: "وأشهر من انتسب إليها من علمائهم في القرن الثاني عشر موسى بن نحمن الجرندي المفسر الطبيب الفيلسوف الكبير [ولد في جرندة سنة 1194م، وتوفي في فلسطين سنة 1270م]، وابن عمه يونه بن إبراهيم الجرندي الملقب بالمتقي، تولّى زعامة معارضة فلسفة موسى بن ميمون بين علماء اليهود في فرنسا، وأحرق كتبه في باريس سنة 1233م"[1].

---

[1] بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص51 (هامش المترجم).